





# رئيس التحرير **أنيس منصور**

### صبتالحجودث



الطبعة الثانية

دارالمفارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

### شاعرالرفت العاطفية

إبراهيم ناجي

سبعة من سراة العاصمة اتفقوا على أن يهجروا ضوضاء المدينة دون أن ينأوا عنها . فاهتدوا إلى مساحة واسعة من الأرض تقع وراء محطة مصر ، عند الموقع المعروف الآن بشبرا الصغرى ، وكانت يومئذ حقولا تجرى من تحمها نهيرات مياه الترعة البولاقية ، وتتفرع مها قنوات كقنوات البندقية .

وفى هذه المساحة الشاعرية ، أسسوا « مدينة الأحلام » وأقاموا بها بيؤاً هى أقرب إلى القصور : أولها بيت السيد حسونة الطوير (وهو يوبئذ عامل تونس فى مصر) – يليه بيت المرجوشى ، التاجر الكبير بالغورية – يليه بيت العطار ، التاجر بالصنادقية ثم ينحرف الطريق يساراً ، وعند منتصفه يقوم البيت رقم ٢٢ بشارع العطار ، وهو بيت أحمد ناجى ، الذى نشأ فيه ابنه الشاعر إبراهيم ، ثم يليه بيت الشيخ إبراهيم الشرقاوى الكبير .

وفى ركن من الحى ، يقوم بيت عثمان جلال ، الأديب المعروف وصاحب « العيون اليواقظ » يليه بيت الزعيم محمد فريد .

وهكذا أحاطت بشاعرنا فى طفولته عطور الزعامة الوطنية والدينية والادبية والعصامية .

ومن اسم هذه المدينة الصغيرة ــ مدينة الأحلام ــ استوحى شاعرنا قصة نصف طويلة كتبها في منتصف عمره، وظهرت ضمن مجموعة من القصص المؤلفة والمرجمة ، أطلق عليها جميعاً اسم « مدينة الأحلام » .

وفى بيت من هذه البيوت السبعة أيضاً \_ ولا أسميه \_ كان الحب الأول فى حياة الشاعر ... الحب الذى طارد خياله طول حياته على يأس .

وشاعرنا هو ثانى أخواته وإخوته السبع .

ولد عند منتصف الليلة التي صافح فيها عام ١٨٩٨ عام ١٨٩٩ و وسجل على أنه من مواليد ٣١ ديسمبر من عام ١٨٩٨ ، وكأنه أبى إلا أن يشهد عاماً واحداً من القرن المنصرم ، ثم يقضى بقية ما كتب له من العمر في القرن الجديد .

ورث شاعرنا عن أبويه كثيراً من خلالهما .

ورث عن أبيه حب العلم ، والدأب فى القراءة ، والذاكرة القوية، والقدرة على اللغات ، فأجاد الإنجليزية والفرنسية والألمانية ، وقرأ كثيراً من آداب هذه اللغات ، فإذا كان أبوه قد اكتسب الجاه بالعصامية ، فإن شاعرنا قد اكتسب الأدب بالعصامية ، فعلم نفسه مالم يلقنه إياه أستاذ ولا مدرسة ، ونبه شأنه - وهو الطبيب - فى الشعر والأدب والقصة وعلم النفس وغيرها من ضروب الثقافة .

وورث عن أمه إنسانيتها ، وخفة ظلها .

يروى عن أمه أن طاهى البيت أصيب بذات الرثة ، فاستبقته في البيت بقية حياته ، تصله وتحدب عليه ، دون أن يعمل . وقد نشأ ابنها الشاعر على شاكلها إنساناً لا يملك ما في جيبه ، وطبيباً عيادته مفتوحة الأبواب على مصراعيها لفقراء الأدب والفن وغيرهم .

وكانت هذه السيدة الظريفة تحسن النكتة . وقد نشأ إبراهيم على جديلتها ، فكان من ظرفاء عصره ، وله نكات مأثورة تجرى مجرى نكات البابلي والبشرى ورامى وغيرهم من ظرفاء العصر .

التحق شاعرنا ، أول ما التحق ، بمدرسة «سبيل أم محمد على » · إذ كانت أقرب المدارس إلى البيت ، ثم إنها كانت على غرار رياض الأطفال في عصرنا .

كان ذلك سنة ١٩٠٤ .

ثم انتقل إلى مدرسة باب الشعرية الابتدائية ، وبدأ يتفوق على أقرانه ويفوز بجوائز التفوق في كل مناسبة . فلما أدرك العاشرة ، سأله أبوه أية هدية يطلب إذا بجح ، فأجاب شاعرنا بأنه يتطلع إلى كتاب من كتب تشارلز ديكنز ، إذ كان إبراهيم مفتوناً بهذا الكاتب . وإنك لتجده في مقدمة كتاب « مدينة الأحلام » يقول إن تأثير ديكنز عليه كان بالغاً ، وإنه هو الذي فتح له آفاق الجمال ، فأصبح يحب الخير الذي كان ديكنز ينشده الفقراء والمعوزين ولوطنه وللناس جميعاً .

وهكذا سيطر عليه الحب الذى لا يكاد يخلو بيت واحد له من

. ذكره .

وانتقل إبراهيم بعد ذلك إلى المرحلة التالمية من حياته المدرسية، فالتحق بالمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا .

وهنا تبلورت اتجاهاته ، فقد بدأ محاولاته الشعرية وهو فى الحادية عشرة ، وحفظ ديوان الشريف الرضى من الغلاف إلى الغلاف .

ولم توافه سنة ١٩١٢ حتى كان ينشد الشعر – شعره هو – وهو فى الثالثة عشرة ، ينسجه على المنوال الذى حفظه . منوال الشريف الرضى ، ويستعين على ضبط أوزانه بالتفاعيل والدوائر والشرط .

بدأ شعر إبراهيم يتردد فى مجالس أصدقائه ، ويتناقله رواة عن رواة ، حتى رحلت به الوظيفة إلى سوهاج ، ثم إلى المنيا ، ثم استقرت به حيناً فى المنصورة .

والمنصورة أرض طيبة ، تنبت الشعر والجمال ، والحب والخيال . وهى التى أنجبت الله عشرات من أعلام الشعر والأدب والمسرح والغناء والفنون عامة .

وفى المنصورة ، عرفت الشاعر إبراهيم ناجى ، إذ كنت يومئذ طالباً بالمدرسة الثانوية وكان لى زميل أثير ، هو الشاعر م . ع . الهمشرى ، وقد كان شاعراً موهوباً مأمولا لمستقبل ضمخم ، لولا أن عاجلته المنية وهو فى أوج شبابه .

کنا نخرج أنا والهمشری من المدرسة ، فنلتنی بشاعرین یکبراننا ، وکان المستقبل یتهیأ لهما یومثذ ، هما إبراهیم ناجی الطبیب ، وعلی محمود طه المهندس ، فكنا نجلس نحن الأربعة على شاطئ النيل ، نقضى أجمل ليالى العمر فى حديث الأدب والشعر والحمال .

كانت هذه الصحبة مدرسة جديدة في الشعر ، تقاربت خطوطها في ذلك العهد إلى حد أن اختلط شعرنا على الناس في كثير من الأحيان فنسب إلى غير صاحبه ، وإلى حد أن أحداً منا نحن الأربعة لم يكن يعرف من التلميذ ومن الأستاذ ، فقد أفاد كل منا بصحبة الآخرين .

وكان لنا أصحاب ثلاثة من شعراء الشباب فى الأدب الإنجليزى ، هم شلى وكيتس وورد زورث، نقرؤهم كثيراً، ونحس بما بيننا وبينهم من أواصر الشعر ووشاثج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم .

وفى المنصورة ، نظم ناجى قصيدة « صخرة الملتقى » وبعث بها إلى مجلة « السياسة الأسبوعية » وهى يومئذ أعظم صحيفة أسبوعية أدبية ، فاحتفت بها الصحيفة ، ونشرتها فى مكان كريم .

وبدأنا نفعل ما فعل ناجى ، بعد أن كنا نشفق من إرسال شعرنا إلى الصحف مخافة الإهمال ، فأرسلناه ، وبدأنا نأخذ طريقنا إلى الناس .

وانتهت أيام المنصورة الحلوة ....

وزحفنا نحن الأربعة على القاهرة فى وقت واحد .. ناجى إلى وظيفته بالقسم الطبى بمصلحة السكك الحديدية ، والمهندس إلى وظيفته بوزارة الأشغال ، والهمشرى إلى كلية الآداب ، وأنا إلى كلية التجارة . ومنذ ذلك الحين لم نفترق -- أنا وناجى -- إلى أن لتى وجه ربه، إلا ليالى معدودات .

عاد ناجى إلى القاهرة ومر بديار أجبابه الذين تغيرت مقاديرهم ، فرآها تصفر فيها الربح وتكسوها خيوط العناكب ، فنظم قصيدته « العودة » التى تعد أروع قصائده ، ومطلعها :

هذه الكعبة كنا طائفيها والمصلين صباحاً ومساء كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها كيف بالله رجعنا غرباء ؟

دار أحلامى وحبى ، لقيتنا فىجمود مثلما تلمى الجديد أنكرتنا ، وهى كانت إن رأتنا يضحك النور إلينا من بعيد

وكأن ناجى -- بعد قصيدة العودة -- قد أبى إلا يغير قدره كما تغيرت أقدار أحبابه ، فودع أيام العزوبة ، وخطب الآنسة «سامية » كريمة اللواء محمد سامى ، أمين محافظ القاهرة يومئل .

ولولا أن هذه السيدة كانت واسعة الأفق ، ما استطاع ناجى أن يواصل رسائته كشاعر ، وهو يطالعها كل يوم بقصائد مطولات عن حبه القديم ، ثم يختم أمسياته كل ليلة بجديد من غزلياته ، مرة فى ورابعة فى ورابعة فى ورابعة فى وخامسة فى و ذازا، . . . إلخ .

ولم يعقب ناجي ولدآ ، و إنما أعقب ثلاث بنيات ه

وكانت الوسطى « ضوحية » أقرب الثلاث إلى قلبه . كان يفتح لها مغاليق قلبه ، ويسرها النجوى ، ويختصها دون شقيقتيها بأكثر من قصيدة ، مما تجد في دواوينه .

. . .

تلفتت مجتمعات الأدب إلى ناجى منذ عودته من المنصورة ، وتلقفته مجامعها مهالة محتفية ، فأصبح من المقربين إلى أمير الشعراء.

وحينها قامت جمعية وأبولتو ، في سنة ١٩٣٧ ، ورئيسها يومثد أمير الشعراء ، وأمينها العام الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، كان ناجى في الطليعة من رواد هذه الجماعة ، ووقع عليه الاختيار ليكون وكيلا لها ، وكنا نحن : على محمود طه وزكى مبارك والصيرفي والهمشرى ومختار الوكيل ، أعضاء في مجلس الإدارة .

وفي سنة ١٩٣٤ ، ظهر أول ديوان لناجي « وراء الغمام » .

الغمام . . . الذى يتطلع ناجى إلى الأرض فيراه يحجب حقائق الناس ، فتلك راقصة تلهو وتحرح وكأنها أسعد أهل الأرض ، فإذا انقشع عنها الغمام ، تجلت وراءه مأساة دامية ، يصورها لنا في قصيدته « قلب راقصة » ويقول فيها :

لا تكتمى فى الصدر أسرارا وتحدثى كيف الأسى شاءا أنا لا أرى رجساً ولا عارا لكن أرى امرأة وبأساء

الغمام . . . الذي يصعد ناجى بعينه إلى السياء ، فيراه يحجب حقائق السياء ، فيسمو إليها بخياله قائلاً في قصيدته ﴿ صلاة الحب ﴾ :

سموت ودق إحساسى وجزت عوالم البشر نسيت إساءة النساس غفر<u>ت خط</u>يئة القسدر

ويذهب ناجى عقب صدور هذا الديوان ، إلى لندن في مهمة علمية ، وتقع في يده صحف القاهرة ، فإذا هى زاخرة بمعركة حول تهيمة شعره ، وإذا بعض أصدقائه ، الذين طالما طربوا له وصفقوا ، يلحونه ويصغرون مكانته ... وإذا كاتب جهير ممن يوجهون الرأى الأدبى في البلد ، يكتبعن قصائد « وراء الغمام » فيقول : « إنها أشعار حسنة ، ولكنها أشعار صالونات ، لا تتحمل أن تخرج إلى الخلاء فيأخذها الرد من جوانها ».

هذه الحملة بالذات كانت أكثر ما هز كيان ناجى الرقيق هزًّا عنهاً .

كان يخيل له أن صدور ديوانه هذا سيكون وثيقة كبيرة له فى طريق المجدد ، يسجلها له الكاتبون ، ونسى أن الحجد هو ما يسجله هو لنفسه ، لا ما يسجله له الكاتبون . ولكن جحود الأصدقاء الذين هاجموه فى غيبته هد كيانه ، وكلمة الكاتب الجهير تركت جرحاً عيةاً فى أعاقه ، فراح يردد هذا البيت :

هى محنة وزمـــــان ضيق وتمخضت عن لا صديق وانبرت جماعة أبولـو تدافع عنه على صفحات مجلّها ، وعلى صفحات جميع الحبلات ، ولكن كلْ هذا لم يخفف عن نفسه أحمالها . وبينها هو سارح فى شوارع لندن ، شارد الفكر تائه النظرات ، دهمته سيارة أدخلت عظمة الساق فى الحوض من فتحته فكسرته .

ونقل ناجى إلى مستشنى سانت جورج ، وتجمع عليه فوق آثار الصدمة شدة داء السكر الذى كان يشكو منه ، وبرد لندن القارس ، كل هذا فوق المحنة النفسية التي كان يعانيها من ناقديه .

ورقد أشهراً فى لندن ، وأجريت لهجراحة خطيرة كللت بالنجاح وخرج من المستشفى يجرر ساقيه على عكازين ، ولكن المرارة التى فى نفسه عاشت معه بعد ذلك حقبة طويلة من الزمن ، حتى بعد أن أتى العكازين .

وأدركت به الباخرة وهو في طريق العودة ، مدينة البندقية ، فقال والنشوة في عينيه ، والمرارة في أعماقه :

يارب ما أعجب هذى البلاد لاليل فيها ، كل ليل صباح وكل وجه فى حماها ضهاد ومصر لا تنبت إلا الجراح ثم أشرفت به الباخرة على شواطئ مصر ، فصاح يقول :

هتفت وقد بدت مصراهیی رفاقی ، تلك مصریا رفاقی خرجت من البلاد أجرساقی وعدت إلی البلاد أجرساقی أتدفعنی وقد شدت وثاقی ؟

على أن القدر تلطف بالشاعر ، فاعتدلت ساقاه ، ولم تترك صدمة لندن أثراً في مشيته ، وإن كانت قد تركت آثاراً في أعماق نفسه .

. . .

عاد ناجي إلى مصر ، وقد كفر بكثير من القيم التي طالما آمن بها ، وفي طليعتها قيمة الصداقة ، وقيمة الشعر .

لقد هاله أن يجد بين أصحابه شاعراً يتنكر له بعد صحبة طويلة . فهجاه وهو الذي عاش يكاد لا يعرف معنى كلمة الهجاء .

هجاه هجاء تجرد فيه لأول مرة من نزعته الإنسانية العميقة ،حتى إنه تمنى له الموت: واختم أبيات القصيدة بقوله كما قال قيصر لبرونس : حتى أنت :

#### قال :

أيها الحبى ، وما ضر الورى لو كنت متا ؟ أو شعر ذاك ، لا بل حجر ينحت 'محتا تلقم الناس وترميهم به فوقاً وتحتسا صحت من يأسى لما بركيك الشعر صحتا آه يا قاتل يا سفاك . . حتى أنت . . حتى ؟

ثم تنكر ناجى للشعر ، وأقسم ألا يقوله أبداً .

ولكن . . . هل يستطيع أن يخاصم قلمه ؟

لا . . وإنما اتجه به حيناً إلى القصة المترجمة ، ثم المؤلفة . على أنه
 لم يصل ف هذا المجال إلى شيء مما وصل إليه فى مجال الشعر .

وظهر كتابه « مدينة الأحلام » وفيه القصة التي أسلفت الإشارة إليها. وقال في مقدمة ، مدينة الأحلام :

﴿ وداعاً أيها الشعر . . .

و وداعاً أيها الفنّ . . .

ة وداعاً أيها الفكر . . . ، ه

وكأنما القصة ليست من الفن

وكأنما الدراسات النفسية التي اتجه إليها بعد ذلك ليست من الفكر .

وهنا . . . نسجل فضلا للأستاذ الدكتور طه حسين ، الذى قسا على شعر ناجى الشعر ، فأراد على شعر ناجى من قبل ، وقد هاله أن يطلق ناجى الشعر ، فأراد أن يحرضه على العودة إليه تحريضاً جميلا ، فأنشأ فى صحيفة «الوادى » فصلا مشوقاً قال فيه :

وإنى لم أحزن حين رأيت الدكتور ناجى يعلن زهده فى الشعر ، لأنى قدرت أن الدكتور ناجى إن كان شاعراً حقيًّا ، فسيعود إلى الشعر إن راضياً وإن كارهاً ، سواء ألححت عليه فى النقد أو رفقت به ، وإن لم يكن شاعراً فليس على الشعر بأس فى أن ينصرف عنه ويزهد فيه » .

وكان لهذا التحريض أثره عند ناجى ، فانحلت عقده النفسية واحدة وراء الأخرى ، وعاد إلى صفائه وأصدقائه وأناشيده الحالدة .

عاد ناجي يغرد بأجمل مما كان يغرد .

وعاد إلى حياة الليل ، لأنه كان يعشق الليل . كان أقل النوم يشبعه ، وأقل الطعام يكفيه ، وهو فى الحبكذلك ، أقل الرضا يرضيه . وكان معنا فى مدرسة الليل هذه كثير من أبناء المدرسة الحديثة ـــــ الحديثة



يومئذ - أذكر منهم محمود تيمور. وتوفيق الحكيم، وأحمد رامى، وإبراهيم المصرى، والمدكتور حسين فوزى، ومحمود طاهر لاشين، وعلى أدهم وغيرهم. وقد شهدت هذه الجلسات أعنف معارك الأدب التي خرجت من المقهى أو الملهى إلى وجوه الصحف ، كما شهدت أبدع الأشعار وأمتع الأفكار .

وأذكر أن واحداً ممن يعيشون على هامش الأدب ، كان يجالسنا كل ليلة ويسمع ما يقال ويسجله أولا بأول ، كما يسجل ما يغتاب به بعضنا بعضاً من نقد ، فما لبث أن اجتمع له من كل ذلك كتاب كامل نشره ونسب ما فيه إلى نفسه ، وعد يومئذ فى الأدباء ، بعد أن أثار كتابه هذا ، الذى لا فضل له فيه إلا فضل المغافلة ، ضجة فى الأوساط الأدبية .

كانت الفترة التي هجر فيها ناجى الشعر غير مجدبة، فقد راح يتلهى بترجمة القصة وتأليفها كما أسلفنا القول ، كما راح يترجم أهازيج شكسبير وشعر بودلير ، ويلتى المحاضرات عن فرويد وغيره من علماء النفس ، ويترجم المسرحيات ، ومن أشهر ما ترجم « الجريمة والعقاب » لدستويفسكى ، كما راح يكتب للإذاعة، ويقرأ في أدب فجر الإسلام، والأدب الروسى ، ويؤلف في الطب، ويصدر مجلة « حكيم البيت » التي لم تستطع أن تخلص من روح الأديب الشاعر الفنان... ويصنع كل شيء إلا أن ينظم الشعر .

إلى أن مرّت المحنة ، ومرت معها محنة أخرى كان يعانيها من زملاته في العمل ، وهذه هي الأخرى وجدت طريقها إلى الانفراج حين ترك مصلحة السكك الحديدية ، وعين رئيساً للقسم الطبي بوزارة الأوقاف ، وهذه هي الفترة الوحيدة في حياة الشاعر ، التي كثر فيها شعره في المدائح والمجاملات رداً اللجميل ، كما يتبين للقارئ عند مراجعته لديوانه الثاني «ليالي القاهرة » الذي صدر سنة 1901 .

وطابت أيامه فى وزارة الأوقاف ، فى عهد الوزير الذى جاء به إلى هذا المنصب، المرحوم عبدالهادى الجندى، ثم فى عهد الوزيرين الأديبين إبراهيم دسوقى أباظة وعبد الحميد عبد الحق .

ثم ذهب المقدرون لأدبه ، وجاء غيرهم ، ودارت حوله الدسائس من زملائه وتكاثرت عليه الحفائظ ثم الهمه الشانئون بأنه غير منتج ، وأنه منصرف الشعر والأدب عن الطب ، وانتهى الأمر بإخراجه من وظيفته وهو في الخامسة والخمسين من عمره فيا سمى بالتطهير يومند .

وكانت الصدمة قاسية عليه من الجانبين النفسي والمالي .

صحيح أن أحمد ناجى كان عصاميًّا بدأ من الصفر ، ولكن ولده إبراهيم ولدف ظل النعمة فى قصر فيه عربة وجياد وإماء وخدم وحشم .

وتعود الشاعر النعمة طول حياته .

كان يكسب كثيراً من عيادته ، ولا يبنى على شيء مما يكسبه . فلما جاءت هذه الصدمة كان صفر اليدين إلا من معاش محدود . أما دخل عيادته ، فقد أخذ ينفض عنه كما انفضت غنه الدنيا ، إلا من الفقراء الذين كانوا لا يؤدون له على العلاج أجراً.

وینبغی لی ، قبل أن أترك سیرة ناجی ، أن أسجل أنه كان طبیباً ، ولكن حقد من حوله جنی علیه ، وهكذا عرف ناجی الحرمان لأول مرة فی حیاته ، فاشند علیه داء السكر ، وألحت علیه ذات الرئة ، وراح یذوب سریعاً حتی انهت قصة حیاته فی یوم ۲۵ مارس سنة ۱۹۵۳، وراح یذوب حوار جده الشیخ عبد الله الشرقاوی بمسجده بجوار الحسین

ونزل الستار على المأساة التي توقعها قائلا : حان الوداع ، ففيم تنتظر ؟

نان الوداع ، فقيم تنتظر ؟ نزل الستار وأقفـــر العمـــــــر



## شاعرانجب لالأخضر

أبو القاسم الشابى

هذا شاعر ساحر . . .

عرفه العالم العربى لأول مرة فى عام ١٩٣٣، حين بعث لمجلة أبولتو-التى كانت تصدر عن جماعة أبولتو، متخصصة فى الشعر ودراساته -بقصدة عنوانها « صلوات فى همكل الحب » .

فما إن طلعت هذه القصيدة على الناس ، حيى بهرتهم ، وتلفت إليها أدباء العالم العربي وشعراؤه ونقاده ، وتساءلوا جميعاً : من يكون هذا الشاعر ؟ وأين موطنه ؟ وما عمره ؟ وأين كانت هذه الطاقة الشعرية الضخمة مستخفية على عيون الأدب حيى اليوم ؟

وفى الحق أن القصيدة كانت ثورة فى تاريخ الشعر العربى الحديث، وتاريخاً خليفاً بأن يؤرخ به لمدرسة جديدة فى أدب العاطفة المحلقة . فإن أردت أن تعرف ماهية هذه المدرسة ، فإنى أترك أبا القاسم

يحدثك عنها فى بحث له عن الشعر ، عنوانه « الأدب العربى فى العصرُ الحاضر » .

يقول أبو القامم :

اليس لنا أن نطالب الشاعر فى شعره بغير الحياة . وإذا جاز لبنا أن نطالبه بأكثر من هذا . فلنطالبه بأن تكون هذه الحياة رفيعة سامية تتكافأ مع ما للشعر من قدسية الفن وجلاله . ففى الحياة كثير من الحماقات والدنايا ، يتعلى الفن عن التدلى إلمها من سهائه العالية .

« فإذا قرأنا شاعراً ، وجدنا فيه إنساناً من لحم ودم ، يحيا ويتنفس ، ويشعر ويفكر ، ويجاوبنا بالعطف والحس والخيال ، وينسينا لحظة وجودنا المحسوس بما يخلعه علينا من جمال الفن وصره ، ويرتفع بمشاعرنا فوق دنايا هذا العلم ومحقراته ــ إذا وجدنا هذا الشاعر ، فلنقرأه ف فقة وإيمان ، فإنه الشاعر حقاً » !

. . .

هذا هو رأى أبى القاسم فى الشعر والشاعر ، وهذه هى خطوط مدرسته .
فلننظر إلى أى مدى توائم هذه الخطوط قصيدته التى حلثتكم
عنها : ٥ صلوات فى هيكل الحب ، التى أقتطف من مطالعها هذه الأبيات :
عذبة أنت .. كالمطفولة .. كالأحلام .. كاللحن .. كالصباح الجديد
كالسهاء الضحوك ... كالليلة القمراء .. كالورد .. كابتسام الوليد
يا لها من وداعة وجمال . . وشباب منعسم أملسود
يا لها من طهارة تبعث التقديس فى مهجه الشي العنيسسد
يا لها من طهارة تبعث التقديس فى مهجه الشي العنيسسد
خطوات سكرانة بالأناشيد . . وصوت كرجع ناى بعيسد
وقسوام يكاد يهتف بالألحان فى كل وقفة وقعسسود

هذه ــ فيا نعرف ــ أول قصيدة عرفه بها الناس فى الشرق العربى ، سنة ١٩٣٣ . أفلا يفجعكم أن أقول لكم بعد ذلك إن عاماً واحداً قد مر على نشر هذه القصيدة بمجلة «أبولو » ... وإذا برسالة حزينة قادمة من تونس — وطن هذا الشاعر — تقول إن أبا القاسم قد مات وهو في الحامسة والعشرين من عمره ؟!

کیف مات ؟

إليكم هذه العجالة عن حياته :

ولد أبو القاسم في يوم من أيام الربيع ، من عام ١٩٠٩ . ببلدة و توزر » بتونس الحضراء .

ولا نعرف من أمر طفولته إلا أنه نشأكما ينشأكل تونسي ، فبحفظ الفرآن الكريم ، وتعلم مبادئ العربية . ولما يلغ أشده بعث به أهلوه إلى العاصمة التونسية ، فالتحق بمعهد الزيتونة سنة ١٩٢١ ، ونال إجازته سنة ١٩٢٧ ، وانحرط بعد ذلك في كلية الحقوق التونسية ، فنال إجازتها سنة ١٩٢٧ .

وقضى الآونة بين ذلك العام، حتى اليوم التاسع من أكتوبر سنة ١٩٣٤ ، في مكان يقال له ﴿ باب حومة العلوج ﴾ ... ويومثذ جاء أهلوه إليه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، ليأخذوه في سيارة إلى مسقط رأسه في بلدة توزر ، ولكن روح أبى القاسم أصرت على أن تلقى ربها في المكان الذي أظل عمرها القصير عند باب الحومة .

وماذا كان من أمر أبى القاسم خلال هذه السنوات القصار التي عاشها في شبايه ؟

من أسف أن ما وقعنا عليه من المعلومات عن هذه الفترة من حياة

الشاعر ليس بالكثير . ولكنه كاف كل الكفاية لإرشادنا إلى المؤثرات الكبيرة في حياته وشعره .

من ذلك ، أنه قيل إن أبا القاسم أحب حبًّا عنيفًا عفيفًا، وكان -كما أدركنا من قصيدته التي سقت أبياتًا سها-لا ينظر إلى محبوبته كما ينظر غيره من الرجال إلى محبوباتهم

لم يكن يتعمق فى أنوثتها ويستلهم جنسها ، وإنما كان يراها قصيدة أو أغنية ، أو هيكلا للعبادة، أو محراباً للنور والطهر ، أو كعبة لسدنة الفن !

قال أديب تونسى : « إن حبًّا جارفاً باكر أبا القاسم، فغمره وساقه في موكب حافل من العواطف الجامحة والأخيلة الواسعة . ولكن للوت اختطف حبيبته ، فبكي أبو القاسم ، ورتل أناشيده العاطفية مرجعاً كل شيء في حياته إلى الحب »

أما المؤثر الثانى فهو أن أبا القاسم كان مجدداً جريئاً صاحب دعوة ثقدمية كبيرة في الأدب الحديث .

وقد عكف على نشر آرائه فى تونس، فى صحفها ومجلاتها ، وهى
يومثد بيئة شديدة المحافظة والتعلق بالقديم ، فى مجال الأدب وفى كل مجال
من مجالات الفكر والحياة ، فلقى حرباً شعواء ، ولقى عنتاً كثيراً ،
ولتى حفائظ وأحقاداً تترى من كل فع ، حتى امتلاً قلبه له كا قال للسلام من الشعب الذى يعيش فيه ، هامساً لنفسه «الاكرامة لنبى

فى وطنه » ، راثياً لحذا الشعب فى قصيدة عنوانها «النبى المجهول » وفيها يقول :

أيها الشعب لينني كنت حطاباً فأهوى على الجنوع بفأسى أنت روح غبية تكره النور وتقضى الدهور في ليل ملس أنت لا تدرك الحقائق إن طافت حواليك دون مس وجس في صياح الحياة ضميخت أكوابي وأترعها بخمرة نفسي ثم قدمتها إليك فأهرقت رحيقي ودست يا شعب كأسي فتألمت ، ثم كفكفت آلاى ، وأسكت من شعورى وحسى ثم نضدت من أزاهير قلبي باقة لم يمسها أي إنسى ثم قدمتها إليك ، فزقت ورودى ودستها أى دوس ثم ألبستني من الحزن ثوباً ، وبشوك الصخور توجت رأسي هأنا ذاهب إلى الغاب يا شعبي لأقضى الحياة وحدى بيأسي ثم أنساك ما استطعت ، فما أنت بأهل لحمرتي ولكأسي سوف أتلو على الطيور أناشيدى وأفضى لحا بأحزان نفسى ثم أقضى هناك في ظلمة الليل وأمضى عن الوجود ببؤمي وهكذا فعل أبو القاسم ...

لقد صدق وعده وهجر الناس ، وذهب إلى الغاب ، وإلى الجبال والواح ، وعاش فى المنتى الأخضر الذى اختاره لنفسه ، يطل على البحر المتوسط ، ويرعى الأغنام ، وينفخ فى الناى ، وينظم الشعر ، بعد أن يشس من الناس إذ شنوا عليه حرباً عواناً وهو بسبيل رسالته المستحدثة

فى الأدب ، وهو إلى جانب هذا يبشر بين قومه بالحرية ، ويحرضهم على الثورة على الاستعمار والذود عن الحياض ، هاتفاً بهم فى قصيدته المشهورة ه إرادة الشعب » التى يحفظ الملايين من العرب مطلعها بدون أن يعرف أكثرهم صاحبه :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلابد أن يستجيب القددر

ولا بـــد لليـــل أن ينجلى

ولا بـــــد للقيد أن ينكسر

. . .

وهكذا اجتمع على أبى القاسم حب كبير (وإن كنا لا نجزم فيه بموت الحبيبة) وحرب من الجامدين ، واضطهاد من المستعمرين ... وعلى نيران هذه الحروب الثلاثة ، احترق أبو القاسم إذ أصابه تضخم في القلب ، فأسلم الروح وهو يغني في فرحة بالحلاص :

الوداع السوداع يا جبال الهسوم يا ضباب الأمى يا فجاج الجحيم قد جرى زورق فى الخضم العظيم ونشرت القسلاع فالسوداع السوداع

<u> شاعرالثباب</u>

أحمد رامى

فى أغسطس سنة ١٨٨٢ خرج أحمد رامى إلى النور ، فى بيت عتيق بحى الناصرية بالقاهرة ، وكان أبوه لا يزال يومثذ طالباً بمدرسة الطب.

ولد أحمد والنغم ملء أذنيه ، فهو يذكر فيا يذكر من خيالات الطفولة الأولى . أن جماعة من أهل الفن والطرب ، كانت تلتقى دائمًا في مندرة بيت أبيه ، وأن أباه كان مشغوفاً بالفن .

فلما تخرج الأب فى مدرسة الطب ، اختاره الحديو عباس الثانى ليكون طبيباً لجزيرة طاشيوز ، وهى جزيرة صغيرة على مقربة من مدينة « قولة » مسقط رأس محمد على ( وكانت يومثذ من أعمال تركيا ، وهى الآن من أعمال اليونان) وكانت هذه الجزيرة ملكاً خاصًا للخديو عباس الثانى .

و إلى هذه الجزيرة، ذهب أحمد مع أبيه ، وقضى بها عامين كاملين. ذهب وهو فى السابعة ، وعاد وهو فى التاسعة ، وتلك هى سن التفتح فى أخيلة الطفولة.

وهكذا تفتح حيال الشاعر على غابات اللوز والنقل والفاكهة ، والبحر والموج والشاطئ ، وكانت ملاعبه هناك بين مروج الرجس الكثيفة ... هذه المروج التي كانت من قبله ملاعب لهومير وغيره من شعراء المونان .

وعاد رامي من هذا الفردوس إلى القاهرة .

عاد ، وقد وعى التركية واليونانية ، وهما لغنا أهل الجزيرة ، وما يزال يعى طرفاً منهما حتى اليوم .

عاد من الفردوس إلى اليباب ، فقد ترك أبويه هناك ، وأقام عند بعض أهله فى بيت يقع فى حصن المقابر ، بحى الإمام الشافعى ، فاستوحشت نفسه ، وانطوت على هم وأسى عميقين .

والتحق آنذاك بالمدرسة المحمدية الابتدائية بحي السيوفية .

فلما عاد أبوه من طاشيوز ، عادت الأسرة إلى بينها العتيق بحى الناصرية . بيد أن المقام لم يطل بأبيه ، الذى التحق بالجيش ، وسافر إلى السودان وتركه فى رعاية جده وهو شيخ فى السبعين ، يسكن حى الحنفى (القريب من الناصرية) فعاودت أحمد الوحشة بعد إيناس ، لولا أن خففت حدتها على نفسه نافذة فى غرفته ، كان يطل منها على تخوم مسجد الحنفى ، ليستمع طول الليل إلى مجامع المتصوفة يتلون أورادهم ويرد دون أبتهالاتهم واستغاثاتهم للمولى عز وجل فى نغم جميل .

وكان له قريب من بيت الرافعي ، وهو بيت علم وأدب وثقافة ووطنية . وكانت لقريبه هذا مكتبة عامرة ، أنس إليها أحمد ، فكان يقضى بها جل وقته . وكان أول كتاب سقط في يده فقرأه وتشبع به وحفظه عن ظهر قلب ، هو كتاب « مسامرة الحبيب في الغزل والنسيب » وكله مختارات من شعر العشاق الغزلين .

هذا الكتاب لعب دوره فى حياة أحمد وهو صبى ، فقد قرر مصيره إلى الأبد .

ثم قرأ فى هذه المكتبة .. قرأ كثيراً ... وكان قد أدرك مرحلة الدراسة الثانوية بالمدرسة الخديوية ، وتعلقت نفسه بحب الأدب ، وكانت هناك جمعية أدبية على مقربة نما يقيم بحى السيدة زينب، اسمها « جمعية النشأة الحديثة » .

وكان فيها رواق للأدب مساء كل خميس ، تحضره جماعة من فحول ذلك الزمان ، منهم لطنى جمعة ، وإمام العبد ، وصادق عنبر ، ومحمود أبو العيون ، وطنطاوى جوهرى ، وغيرهم .

وتوسم المرحوم صادق غنبر فى أحمد الصغير خيراً ، وسمعه يتلو الشعر تلاوة طيبة ، فكلفه قراءة بعض الشعر القديم فى هذا الرواق الأسبوعر,.

وواتته فى هذا الرواق فرصة سانحة ، قرأ فيها أولَ قصيدة من نظمه ، وكان يومئذ فى الجرامسة عشرة .

تخرج رامى فى/مدرسة المعلمين العليا ، سنة ١٩١٤ ، وعين مدرساً بمدرسة القاهرة/الأهلية بالسيدة زينب ، وكان من زملائه فى التدريس بها ، الأستاذ الكبير محمد فريد أبو حديد رحمه الله .

وبعد عامين ، عين/بمدرسة القربية الأميرية ، يدرس للناشئة اللغة الإنجليزية والحغرافيا والتر/حمة . وفى هذه الآرنة — كان ذلك سنة ١٩١٨ — أصدر ديوانه الأول ، أو على الأصح ، الطبعة الأولى من ديوانه ، لأن لرامى طريقة فريدة في نشر شعره ، ذلك أنه يراجع ديوانه فى كل حقبة من عمره ، فيتخير منه وينخل ويضيف ، ويعيد طبعه من جديد على الصورة التي ترضيه .

. . .

كان صدور ديوانه حدثاً أدبياً فى ذلك العهد ، فقد طالع قراء العربية بلون جديد فى الشعر ، اختلفت فيه المدرستان القديمة والحديثة يومئذ ، هذه تؤيده وتلك تلحاه ، .... هذه المعركة الى دامت فى حقل الشعر الحديث إلى عهد قربب .

وضاق رأى بالتدريس ذرعاً ، فعاد مرة أخرى إلى رحاب مدرسة المعلمين العليا حيث عين أميناً للمكتبة ، فاطمأنت نفسه وانصرف إلى حياة علمية خالصة ، وانكب على ما فى المكتبة من كتب فى آداب العالم الثلاثة ، من عربى وفرنسى و إنجليزى .

وهكذا ظل حتى سافر ف بعثة إلى باريس لدراسة اللغات الشرقية وفن المكتبات سنة ١٩٢٣ .

وفى باريس قضى عامين هما أسعد ذكريات شبابه ، فى جامعة السوربون ، وكأنه كان هناك على موعد مع شاعر التاريخ عمر الخيام كما سنفصل فما بعد .

وعاد رامی بعد العامین إلى القاهرة حیث عین بدار الکتب المصریة وظل يتدرج في مناصبها ثمانية وعشرين عاماً ، حتى أصبح وكيلا لها ،

وقد جاوز الستين ومع هذا فإنه لايزال يلقب في الصحف والمتديات بشاعر الشباب .

وقصة هذه التسمية ، أنه كان فى أوليات أيامه ينشر شعره بمجلة الشباب ، لصاحبها المرحوم عبد العزيز الصدر ، الذى خلع عليه لقب شاعر الشباب نسبة إلى المجلة .

وبقيت التسمية عالقة برامي حتى اليوم.

. . .

مارس راى ثلاثة ألوان من الأدب : الشعر الوجداني ، والعاطمي ، والوطمي .

ثم أدب المسرح، فقد زود شاعرنا المسرح المصرى بذخيرة ضخمة تبلغ نحو خمس عشرة مسرحية من مسرحيات شكسبير الخالدة ، مهر على ترجمتها بأمانة وإشراق ، ومنها هملت ويوليوس قيصر والعاصفة وغيرها مما قدمته مسارح يوسف وهبى وفاطمة رشدى فى زمن غرة المسرح .

ثم انهى إلى نظم الأغنيات ، وبهذا اشتهر وطار ذكره ، حتى أوشك الناس أن ينسوا راى شاعر الفصحى ، وراى كاتب المسرح ، ولم يذكروا إلا شاعر الأغانى .

. . .

أحب أن أتحدث عن راى كأديب شعبى ...

وقد يفرض عليناهذا التحديد ألا نتناول شعره الخالص ، مما لا يدخل

فى نطاق الشعبية . بيد أن الناقد لايستطيع أن يتناول الناحية الشعبية فى رامى إلا إذا درس نفسية هذا الشاعر عن طريق شعره .

تفاعلت فى نفس رامى، منذ طفولته إلى آونة نضجه ، عوامل عدة ، أبهرها تلك المروج الفيحاء من النرجس ، التى تفتح عليها خياله فى جزيرة طاشيوز ، ثم تلك الوحشة التى ألمت به بين القبور ، ثم تلك الصوفية التى عاشرت روحه فى حى الحنفى ، ثم ذلك الكتاب الذى كان أول ما قرأ « مسامرات الحبيب فى الغزل والنسيب » . . ثم صحبته لشاعر التاريخ عمر الحيام . ثم كلفه بأم كلثوم .

هذه فيما أرى ، هي العناصر التي اشتركت في تكوين هذا الشاعر وجعلته مجموعة من الانفعالات العاطفية التي تسيل تشوقاً وتصوفاً وعذوبة ورقة .

وقد ثارت فى وقت من الأوقات حملة من حملات النقد تقسم الأدب إلى بابين : باب القوة وباب الضعف. وقيل يومئذ إن شعر رامى بما فيه من لهفة على الحب ، وما يزخر به من دموع وتأوهات ، ينهض نموذجاً لأدب الضعف .

وهذه قولة سخيفة ، لو أننا أخذنا بها لجعلنا أخلدالشعر العاطبي في التاريخ من أدب الضعف . وإنى لأرى أن الضعف ليس هو الذي يمثلي بالعاطفة ويلهب بالحرقة على الحبيب ، وإنما أدب الضعف هو ذلك الذي يسوق اللفظة السقيمة أو المعنى الواهي أو الحيال الممجوج. وإنى لأرى أن أدب القوة ، ليس هو الذي يتحدث عن الجهاد

والحلاد والقلاع والحصون بغير عاطفة ، وإنما أدب القوة هو ذلك الذي يكون مصدره القلب ومنبعه الوجدان ، وثوبه اللفظة الحلوة والمعنى الشاهق .

وأدب رامى ، على هذا القياس الصحيح، أدب قوة لا أدب ضعف، لأنه أدب صدق ، مستمد من أعماق نفسه ، ومن روحات خياله، ومن شوامخ ثقافته .

وصحيح أن أدبه حافل بالأنين ، غارق فى الدموع ، ولكن ماذا تطلب منه ، وهذه حياته كلها تشوف ووحشة وأنين والتياع ؟

أمن العدل أن تطالب شاعراً هذه حياته ، بأن يحدثنا عن السيف والدم؟ إن الشاعر الصحيح هو الذي يجعل شعره صورة لحياته ومرآة لنفسه. فاستمع إلى رامى يحدثك لماذا كان شاعر الدموع ، في قصيدة عنوانها وشعر الدموع ، في قصيدة عنوانها وشعر الدموع ، :

يقولون ما هذا الشحوب الذى نرى بوجهك ، بل ما هذه النظرات؟ فقلت لهم إنى دفنت نضارتى وقد ضربت فى قلبى الظلمات تشرد لحظى ، ثم غشته ترحــة كا غشيت شمس الضحى المزنات لقد كان براقاً وقد كان ضاحكاً فراح بريق اللحظ والضحكات وما العين إلا باب قلبى ترونسه أفيه بكاء أم بسه بسمات ؟

> كانت أم كلثوم حدث الأحداث في حياة رامى . كانت قدراً عليه ، غير طريق حياته .

عاد فی أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وكانت الأغانی المصرية يومئذ قد بلغت حضيض الإسفاف والانحلال ، مثل أغنيات ، أرخى الستارة اللى في ريحنا ، . أحسن جيرانك تجرحنا » و « إيه اللى جرى في المندرة . . شيء ما اعرفوش . . دانا كنت لسه صغيره » و « تعالى بات . . يوم التلات » . . و « إوعى تكلمنى . بابا جاى ورايا » و « شفتى بتاكلنى أنا في عرضك » . . . و له إ

عاد راى من باريس ، وسمع هذه الأغانى ، وسمع شقيقاته ، وهن لم يزلن يومئذ صغيرات السن مدللات الصبا ، يرددن هذه الأغانى كا حفظنها من الحاكى ذى البوق الذى كان شائعاً فى تلك الأيام ، فعزت عليه تلك الجناية على أخلاق الجيل ، وهو الذى سمع فى باريس روائع الشعر الفنائى ، كما سمع فى مندرة أبيه من قبل بدائع غنائيات الجيل الأسبق ، جيل مصطفى نجيب وإسهاعيل صبرى والشيخ الليثى وأترابهم .

وتشاء المصادفة أن يزوره فى هذه الآونة صديق له ، ويدعوه إلى ساع المغنية الناشئة القادمة من الريف ، تغنى فى جوسق فى الهواء الطلق بحديقة الأزبكية ، بلا أوركسترا ولا تخت !

كان اسمها: أم كلثوم.

وكان هذا في يومه الثالث في القاهرة ، بعد عودته من باريس ، وتاريخه : ٢٦ يوليو سنة ١٩٢٤

وراح ليسمع ، فإذا هي تطالعه بمفاجأة حياته .

إنها تغنى قصيدة له هو بالذات ، مطلعها :

الأداء ، ولم يتم ليلها إلى الصباح .. فقد أزمع أمراً .

الصبّ تفضحه عيونك وتم عسن وجد شؤونه وكان اللحن لخير من لحنّ القصائد، المرحوم الشيخ أبو العلامحمد. ورجع راى من عندها فى تلك الليلة مأخوذاً بحلاوة الصوت وبراعة

لقد عرف أنه وجد الأداة الكفيلة بتحقيق الرسالة الكبرى ... الانقلاب العظيم في الأغانى المصرية .

وكان لم يرّجل إلى ذلك اليوم. ولكنه وجد نفسه مسوقاً إلى أم كلثوم، يصلح لها طقاطيقها القديمة ويهذب ألفاظها .

ثم زجل ... زجل فى أول مقطوعة نظمها خصيصاً لها وهى :
خايف يكون حبك لسى شفقــــة علـــــى
وانتى اللى فى الدنيا ديــه ضـــــى عيــــنى
ونشرت هذه الأغرودة فى أسطوانة طبعت سنة ١٩٢٥ ، فكانت
حدثاً فى الغناء المصرى .

واتصلت حياة رامى منذ يومئذ بحياة أم كلثوم .

وقد شهد الزجل الغنائى لأول مرة فى تأريخ الفن المصرى ، بحور الشعر تستخدم فيه جميعاً ، ومعلى الشعر تؤمم ، وأخيلة الشعر تعمم، والألفاظ الشاعرية الرقيقة تنزل إلى ميدان الزجل الفنائى لأول مرة على يد رامى .

# شاعِرمت لكة النحل

أحمد زكي أبوشادي

أبولتو ، مرحباً بك يا أبولتو

فإنك من عكاظ الشعر ظـــلُّ

عكاظ وأنت للبلغاء سوق

على جنباتها رحلسوا وحلسوا

وينبوع من الإنشاد صاف

صدی المتأدبین به یبـــــل

هذه الأبيات الثلاثة هي مطلع القصيدة الراثعة التي نظمها أمير الشعراء شوقي في تحية جمعية ﴿أَبُولُو ﴾... أول جمعية أنشثت لخدمة الشعر العربي الحديث سنة ١٩٣١.

وكان منشئها هو الشاعر الذى نعته الأنباء من أمريكا فى سطور قليلة لم تجد صداها إلاعند نفر قليل من ذاكرى فضل هذا الرجل : أحمد زكى أبو شادى .

وقد نشرت هذه التحية الشوقية بالعدد الأول من مجلة 3 أبولو ، التي أصد رها أبو شادى يومئذ لتنطق بلسان الجمعية ، وتنتظم خوائد الشعراء المعروفين ، وتكشف عن المواهب المغمورة في مصر والسودان والمشرق والمغرب العربيين والمهجر الأمريكي ، وتولى النقد الأدبى عنايها بأسلوب علمي مستحدث .

وقد استطاعت هذه الجمعية التي أسندت رياسها إلى أمير الشعراء

ثم من بعده إلى شاعر الأقطار العربية خليل مطران، أن تستحدث ثورة في عالم النقد، وأن تنشئ مدرسة جديدة في الشعر العربي الحديث، تسمو برسالة الشعر عن أن يكون أداة للمدح أو القدح أو المناسبات، وتجرده من التقليد ، وتنادى بوحدة القصيد ، وتحلق فوق الذرى العالمية.

وفى هذه المدرسة ، لمعت أساء خالدة فى ساء الشعر العربى ، كابراهيم ناجى وعلى محمود طه و م . ع . الهمشرى وأبو القاسم الشابى والتيجانى يوسف بشير ، من الراحلين ، وعشرات غيرهم من الأحياء . كما لمعت فى عالم النقد أساء أخرى أخصى بالذكر منها الدكتور رمزى مفتاح الذى أثار معركة من أكبر معارك الأدب فى ذلك الجيل بكتابه وشائل النقد . . والأديب العراقى الراحل الدكتور مصطنى جواد . . وغيرهما .

. . .

والشاعر أبو شادى ، هو ابن المجاهد الكبير المغفور له محمد بك أبو شادى ، الذى كان من أساطين الوفد فى عهد سعد ، ومن زعماء الحركة الوطنية والثورة المصرية سنة ١٩١٩ ، وكان إلى جانب هذا شيخ المحامين فى عصره .

وفي حياة شاعرنا كل ما نراه في شعره من هيام بالجمال .

كان كل جمال يلهب شاعريته . ولكن القصنتين اللتين عاشتا في قلبه إلى أن لتي وجه ربه ، هما اللتان أرويهما هنا . ولدت القصة الأولى في يوم يتمه ، أو بعد ذلك بقليل ، حين ودعت أمه الدنيا ، فتزوج أبوه سيدة من بيت معروف . وكانت لها ابنة من زوج سابق .

كان الشاعر يومئذ في ميعة الصبا ، طالباً بمدرسة الطب .

وذاق اوعة فقد أمه ، وضاعفت اللوعة قسوة زوجة أبيه عليه . ولكن بارقة من الحنان هدهدت قلبه ، ومسحت دمعه ... هى تلك الصغيرة التى أشرقت على حياته فى البيت ... ابنة زوج أبيه . كانت طفلة شاعرية حالمة ، إذا تحدث إليها ، أصغت إليه واستجابت له ، واستلهمها فألهمته .

وأترك لك أيها القارئ أن تتصور قسوة الصراع فى هذا البيت ، وفى هذه النبيت ، وفى هذه النبيت ، وفى هذه النفس ، وأنت تتأمل صبيًا شاعر الروح ، فى حيرته بين قسوة هذه السيدة عليه ، وحنان ابنها عليه !

أو أن تتأمل ما يعتمل فى نفس الصبية الحلوة ، وهى تحب أمها ، وتحب شاعرها ، ولكنها حائرة بينهما إذ هما فى هذا الصراع .

وتزداد قسوة المؤقف ، حين تعلم زوج أبيه بأمر هذه العاطفة المشبوبة بين الصغيرين ، فتثور ثورة طاغية ، وتصر على ألا يبتى الصغير فى البيت .

و يحار أبوه ، بين عاطفته نحو ولده وبين إرضاء زوجه فيحاول أن يحول دون اطراد هذه العاطفة ، على غير طائل، فلا يجد مخرجاً من الموقف إلا بأن يوفق بين رغبة زوجه وحرصه على مستقبل ولده

بإخراجه من مدرسة الطب فى مصر ، وإيفاده لاستكمال دراسته فى إنجلترا ، لعله ينسى مأساته العاطفية هناك .

. . .

ذهب الشاعر الشاب إلى إنجلترا ، فلم ينس ، بل ازدادت الوقدة في قلبه ، ولكنها كانت وقدة واعية حملته على مضاعفة جهده والتحصيل والاستيعاب ، حتى بزّ أقرائه من الإنجليز ، وفاز بمرتبة الشرف في البكتريواوجيا

وكانت غاية هذا الجهد أن يظفر بشهادته ، ليعود مسرعاً إلى الظفر بليلاه فى القاهرة .

ولكن الأقدار رسمت غير ما رسم ، فقد جاءه النبأ الذي كان يصفه دانماً بأنه أكبر نازلة في حياته .

لقد تزوجت ليلاه ...

ولم يطق الشاعر احتمال هذا النبأ بعد عناء هذه السنين ، فتمثلت له القاهرة ظلاماً يائساً ، وقر رأيه على أن يختار لنفسه المننى ، واستقرت به النوى فى « أيلنج» من ضواحى لندن » حيث أنشأ معملا بكتريولوجيًّا ، وظل هناك موزع القلب بين عمله وألمه .

وفى غمرة هذا اليأس ، انتابه السقم وعدا عليه الحزال . ولكن يدا رقيقة حانية ، امتدت إليه تجفف عرقه وتمسح دموعه ... هى يد شابة إنجليزية كريمة امتلأ قلبها بالعطف عليه ، وما لبث هذا العطف من ناحيتها أن أصبح جسراً عاطفياً إليه ، فأحبته وأولته كل جميل . أما هو ، فقد أحس بهذا الحنان الذى حرمه منذ عهد طويل ، فلم يملك بإزائه إلا رد الحميل ، فطلب يدها ، فامتدت إليه راضية .

وعاد بها إلى مصر ، وسكنا بيتاً هادئاً فى ضاحية المطرية ، ورزق منها ثلاثة : رمزى (وهو الآن موظف بسكرتيرية الأمم المتحدة بنيويورك) وصفية ، التى أخذت عن أبيها شاعريته ، وقد أصدرت ديواناً من القصائد الشعرية فى واشنطن حيث تقيم (وتعمل بالسفارة . السعودية) وهدى ، التى تطوعت العمل ببحرية الولايات المتحدة عقب صدمة عاطفية ، ثم تزوجت طبيباً بحرياً أمريكياً ، وقد اختيرت منذ سنوات ملكة جمال البحرية الأمريكياً ، وقد اختيرت منذ سنوات ملكة جمال البحرية الأمريكياً .

\* \* 5

عرفنا من نواحیه حتی الآن أنه شاعر وطبیب بكتریولوجی . و پتی بعد هذا أن نتین نواحیه الاخری . . .

كان أبو شادى صحفيًّا متعدد الجوانب ، يصدر خمس مجلات فى وقت واحد ، والأعجب من ذلك ، أن كل مجلة من هذه الحمس، كان لها لونها الفريد البعيد كل البعد عن الأخريات .

كانت أولاها ﴿ أَبُولُو ﴾ للشعر ...

وكانت الثانية «مملكة النحل» لسان جمعية النحالين المصريين . وقد كان أبو شادى ملكاً لمملكة النحل فى مصر ، ورائداً من رواد النحالة فى العالم بأسره ، وله فى هذا الباب جهود ضخمة وبحوث كثيرة أشهرها بحثه الذى دعا فيه إلى تحويل واحة سيوة إلى محطة عالمية للنحالة تفل للثروة القومية دخلا لا يقل عن عشرة ملايين من الجنيهات كل عام !

وكان يحلوله أن يحبب هذه المملكة إلى أصدقائه الشعراء ، ويعرفهم على أخلاقها ، ومن أبرز آثاره فى هذا المسعى ، قصيدة أمير الشعراء الرائعة فى وصف مملكة النحل .

والمجلة الثالثة هي و الدجاج » لسان جمعية الدواجن المصرية ، وقد كان من كبار المربين الدواجن العالمية ، ودعاة استجلابها وتربينها في مصر . وكانت في حديقة بيته بالمطرية مزرعة المدواجن الفاخرة إلى جانب النحل .

والمجلة الرابعة « الصناعات الزراعية » نسان جمعية الصناعات الزراعية المصرية ، التي بشرت بدعوة التصنيع الزراعي في مصر .

والحبلة الحامسة هي والإمام ، التي أصدرها خصيصاً لرفع رأية الأدب الشعبي في مصر . وكان محررها الأساسي في أول عهدها هو الأديب الشعبي الراحل ، محمود بيرم التونسي .

كان بيرم يومئذ فى باريس ، منفيًّا من مصر ، مغضوباً عليه من القصر ، لأنه طعن الملك فؤاد فى عرضه ، وطعن فاروق فى نسبه ، ولكن أبا شادى جعله المحرر الأول لمجلة « الإمام » بالمراسلة ... غير مبال بما يجر عليه هذا الاختيار من سخط القصر ورب القصر ورجال القصر ورجال ...

وبما يجمل ذكره في هذه المناسبة أن أبا شادى هاجر إلى أمريكا

قبل ثورة لجيش بعدة سنوات ، ولكنه أخذ نفسه برسالة الأحرار قبل قومهم بحيل من الزمان .

ومنذ يومه الأول فى أمريكا، راح فى الصحف العربية التى تصدر هناك يهاجم الملك والإقطاع والأحزاب وفساد الحكم فى مصر، ويدعو إلى الثورة ... الثورة التى تحققت بعد ذلك بأربع سنوات .

على أنه لم ينقطع عن رسالته الأدبية هناك، فقد أجال قلمه فى صحيفة و الهدى " العربية التى كانت تصدر فى نيوريوك، وفى غيرها من الصحف ، وفى إذاعة صوت أمريكا . تحدث كثيراً عن مصر وعن الأدب الجديد ، وعن الإسلام ، واستحدث نشاطاً أدبيًّا ضخماً بين أدباء المهجر الأمريكي .

ولما قامت ثورة يوليو . حاول عارفو فضله أن يردوه إلى •صر ، ولكن المرض كان قد أثقل عليه ، وكان أولاده قد نظموا حياتهم على المقام هناك ، فاستسلم للمنفى إلى أن لتى وجه ربه فى ١٢ أبريل سنة ١٩٥٥ .



أمئيرالت عراء

شارع من أقصر شوارع مصر ... لا يمتد إلى أكثر من بضع خطوات فى ضاحية الجيزة ، هو كل ما خلدنا به ذكر أعظم شاعر فى تاريخ مصر .

إنه شارع وأحمد شوقى بك » ... الشاعر الذى مال كما تميل الشمس في ضحاها ، يوم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ .

هناك ... تقوم «كرمة ابن هانى على رأس الطريق ، مطلة يحديقتها ونوافذها وشرفاتها على ضفحة النيل الحالد ، كأنها تسائله بلسان رجا الراحل :

من أي عهد في القرى تتدفق ؟

وبأى كف فى المدافن تغدق ؟ ومن السياء نزلت؟ أم فُجِّرت من

عليا الجنان جداولا تترقرق ؟

هذه كرمة ابن هانى .. مهبط الوحى على أمير الشعراء . وهندما زرّبًا لآخر مرة فى سنة ١٩٦٠ ، كانت روحه الخالدة لا تزال مرفرفة هناك فى كل غرفة ، ولاتزال منه قطعة عزيزة فى كل ركن .. وأعزها من بقية الأسرة هناك ، هذه العقيلة الكريمة المعتكفة فى ركن من الحديقة أكثر أيامها ، تصلى فى محراب الذكريات .

هذه السيدة الجليلة ، عقيلة شوقى ، سليلة بيت ذى تراث عتيد من تقاليد تركيا القديمة والشرق والإسلام ، فرسالها فى الحياة ، أنها زوجة وأم وربة بيت ، ولاصلة لها بعد ثذ بالشعر ، إلا صلمها بالشاعر كزوج، ولا صلة لها بالدنيا إلابالبيت الذى يؤويها لاتفارقه ، وأقصى حدود دنياها باب هذا البيت ؟

وكانت هذه الكريمة ـ يوم زرت الكرمة لآخر مرة ـ في رعاية ولدها حسين الشاعر الرقيق الذي غنى له عبد الوهاب من شعره قصيدة مرهفة مطلعها :

سهرت منسسه الليسالي ما للغسرام ومسالي والناثر الأنيق ، صاحب « صديقي رينان » و « أبي شوقي » .

وأما ولدا شوقى الآخران ، على وأمينة ، فقد غادرا البيت منذ زمان طويل ، ليبنيا بيوتاً أخرى تضم أكباد أكباد أمير الشعراء .

. . . .

شوقی .... اتهمه خصومه بأنه ترکی ، لا مصری ولا عربی . وهذه تهمة فی أكثرها باطلة ، إن صح یكون نسب المرء ، الذی لا دخل له فیه ، تهمة علیه .

فشوقى – كما يقول بنفسه فى مقدمة الطبعة الأولى من الشوقيات – ينحدر من جد عربى ، اختلطت به بعد ذلك فروع تركية وكردية وجركسية ويونانية . فهو كأكثرنا نحن المصريين ، مزاج لطيف من عناصر الشرق والشعر ، فإن نحن أنكرنا عليه مصريته ، فإنما ننكرها

على أكثر المصريين وأشرفهم مصرية ، وأصدقهم وطنية ، ولست أعرف مصريتًا صميماً قال مثلما قال شرقى فى مصر :

وطنى لو شغلت بالحلد عنه

نازعتني إليه في الحلد نفسي

فهذا الشاعر الذى ينازعه الشوق إلى مصر وهو فى الحلد ، لا يجوز أن يتهم فى مصريته .

. . .

أما الأرقام والحقائق في حياته ، في عجالة ، فهي أنه ولد بحى الحنني بالقاهرة سنة ١٨٦٨ (وقيل ١٨٧٠) ، والتحق بمكتب الشيخ صالح ، ثم بالمدرسة الحديوية ، ثم بمدرسة الحقوق (قسم الرّجمة) ، ثم سافر إلى فرنسا لدراسة الحقوق والآداب سنة ١٨٨٧ ، وعاد منها سنة ١٨٩١ .

فإن شئت مزيداً من قصة نشأته فهو ابن أبيه 8 على شوقي 8 وكان 8 على ه وقي 10 وكان 8 على ه ورث عن والده مالا كثيراً بدده فى سكرة الشباب ، وكأنه ويقول شاعرنا فى ذلك 8 ثم عاش بعمله غير نادم ولا محروم .. وكأنه رأى لى كما رأى لنفسه من قبل ، ألا أقتات من فضلات المرتبي 1 ا

وأخذته جدته لأمه تكفله .

ودخلت به يوماً على الحديو وكانت من معتوقاته ـ وهو في الثالثة من عمره . وكان بصره لا ينزل عن السهاء، فطلب الحديو بدرة من الذهب ، ونثرها على البساط عند قدميه فوقع الطفل على الذهب يتطلع إليه ، ثم يجمعه ويتلهى به ، فقال الحديو لجدته «اصنعى معه مثل هذا ، فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض ، !

قالت السيدة الذكية : « هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك » فقال لها : « جيئى » إلى به منى شئت ، فإنى أعز من ينثر الذهب فى مصر » .

ويبدو أن جدته لم تذهب به كثيراً إلى هذه الصيدلية ، فقد عاش شيق ما عاش ، يحلق في السياء بعينين رجراجتين زثيقيتين لا تقران على قرار ، حتى كان الشيخ على الليثى كلما رآه ذكر من قول المتنبى هذا المصراع « محاجر مسك ركبت فوق زثيق » .

. . .

لم يسجل التاريخ للخديو توفيق شيئاً من الإحسان في تاريخ هذا الله. فقد كان ضعيفاً خائر العزم ذليلا المستعمر . ولكني أحب أن أسجل لتوقيق حسنة واحدة .. حسنة يتيمة في حياته .. تلك هي أنه اشترك في إعداد شاعرية شوقي ، فقد أحسن جزاءه بعد تخرجه في قسم الترجمة بمدرسة الحقوق ، وأوفده في بعثة إلى باريس ، وأمره أن يبقى هناك أربع سنوات حظر عليه أن يعود خلالها إلى مصر ، وأمره أن يقضيها بين النظر في آداب الغرب ، وحياة الناس هناك ، والتنقل بين مونيليه وباريس ولندن وغيرها من الحواضر .

وهناك تفتحت عينا شوق على ألوان من الجمال في الحياة والآداب

والفن ، فتفتق خياله ، وتفتحت له آفاق جديدة ماكانث لتتفتح له لو بتى فى مصر ، شاعراً ناشئاً يعيش فى إسار القصر ، وكل رسالته فى الحياة أن يرفع مدائحه للأعتاب الخديوية .

. . .

هذه حسنة توفيق اليتيمة ...

والحسنة الأخرى ليست له ، وإنما هي للإنجليز ...

حسنة من حيث لا يقصدون . ذلك أنه عقب خلع عباس الثانى وقيام الحرب العالمية الأولى ، تنكر الناس لشوق شاعر العهد الذاهب والعزيز المخلوع ، وتحاشوه ، وقل زوار الكرمة الذين طالما قضيت لهم فيها حاجات ومطالب . . ويقول حسين شوق :

لا بل صار الأصدقاء يخشون لقاء أبي كى لا ينهمهم أحد عند الإنجليز أو عند السلطان الجديد بمصاحبة أحد رجال النظام الجديد .. مسكين أبي .. تألم لهذه الحال ! لذلك قابل بارتياح حكم السلطة العسكرية في ذلك الوقت حياً كلفته مغادرة الوطن سنة العسكرية .

وذهب شوقی إلى منفاه . .

وعندما غادر محطة القاهرة ، لم يكن فى وداعه إلا قلة من الأقارب والأصدقاء ، حتى لقد شكر المنفى . . الأندلس . . التي أزاحت عنه غمة هذا الجحود . .

فقال:

شكرت الفلك يوم حويت رحلي

فيا لمفارق شكر الغرابـــــا
فأنت أرحتنى من كل أنف
كأنف الميت في النزع انتصاباً
ومنظر كل خوان يراني
بوجه كالبغى رمى النقابــا
وليس بعامر بنيــان قـــوم
إذا أخلاقهم كانت خرابــا

وهناك ... فى ظلال إسبانيا ... قضى شوقى خمس سنوات ، رأى فيها ، فيها عوالم جديدة ، وراجعته قصة الأندلس والمجد العربي الذاهب فيها ، وقصص ملوك الإسلام الأقدمين وحكاياتهم هناك ، ومفاتن الشعر العربي في الأندلس ، بألوانه الزاهية وبحوره المغردة وأوزانه الراقصة ...

كل هذا لعب فى شاعرية شوقى دوراً جديداً وأضاف إلى قيثارته أوتاراً حبيبة .

وكانت الكأس أولى هواياته ...

وحدثني رامي - وكان قريباً إليه - قال :

إن شوقى كان خبيراً بالأنبذة، يتخير أجودهاو يجتذب بها أصدقاءه إلى مائدته ، لأن شوقى كان لا يعود إلى بيته بعد جولة الصباح إلاوقد صحب معه صديقاً أو أكثر من صديق ، يشاركه فى غدائه .

وكانت له حانات مأثورة فى القاهرة ، أشهرها « صولت » و « لابروميناد » و « دلبانى » . والأخيرة كانت تقوم عند ركن خارجى من مبنى فندق سميراميس الحالى ، وكان أمامها موقف للعربات ذات الجياد .

قال رامى: «وكنا نجلس عند دلبانى، فيرشف شوقى رشفة من كأسه ثم ينسل فى هدوء، فيركب عربة تدور به حول الجزيرة، ثم يعود فيملى على عدة أبيات .. ورشفة أخرى . . ثم دورة أخرى حول الجزيرة . . . ثم عدة أبيات أخرى . . ولا تنتهى الليلة إلا بقصيدة قد تتجاوز ماثة بيت » !

هكذا كان الشعر مطواعاً له ، لا يكلفه نظمه أقل عناء ، إلى حد أن قصيدة « النيل » وهي من خير قصائد حياته ، بل لعلها في الطليعة من الشعر العربي كله - وقوامها ١٥٠ بيتاً - نظمها أمير الشعراء في ليلة واحدة !

هل في الحياة إنسان لم يعرف الحب ؟ فما بالك إذن بشاعر .. بل بأمير الشعراء ؟

ومع هذا ، فإنك تقرأ ما تقرأ مما كتب الكتاب عن شوقى ، فلا تستطيع أن تهتدى إلى امرأة بالذات ، لعبت دوراً فى حياته العاطفية .

وتقرأ ما تقرأ من شعر شوق ، فترى فيه للغزل نصيبًا ، وإن لم يكن

موفوراً ولا محرقاً ، فإنه سلسال أنيق .

ولكن الذى يحيرك دائمًا أن غزليات شوقى لا ترسم 'صورة واضحة المعالم لامرأة معينة في قلبه .

وأسأل ولده حسيناً : « ألا تعرف لأبيك قصة غرام ، فحرام أن يحرم التاريخ من الوقوف على مثل هذه القصة ؟ » .

نيجزم حسين بقوله: « بكل أسف، إنه لم يحلثنا طول حياته بشيء من ذلك ، مع كثرة تبسطه معنا في كل شيء » .

وأذهب لألتمس الحقيقة من أصحابه الذين عاشروه ، فلا أهتدى إلى جواب ناصع . ويقول لى وامى : لقد تحدثنا فى هذا مرة ، فقال لى (مالك تصنع بنفسك هكذا يا رامى ؟ تنقل بين هوى وهوى ، وخد من كل حسن معناه ، وكن كالعصفور الذى لا يستقر على غصن واحد . فإن النساء معان ، فلا تقصر نفسك على معنى واحد ) ...

ومصداق هذا القول واضح في شعر شوقي .

سئل مرة أيهما يؤثر فى الحمر ، الويسكى (ولونه يميل إلى الصفرة ) أم الكونياك ، (ولونه يميل إلى الحمرة) ؟ فردد بيئاً له من قصيدته المشهورة «رمضان ولى » :

حمراء أو صفراء ... إن كريمها

كالغيد ... كل مليحة بمذاق!

وهكذا ترى أنه يردد نفس المعنى الذى قاله لرامى ، ويؤثر أن يتذوق كل لون من ألوان الجمال ، ولا يتقيد بمليح واحد. ويضيف رامى أنشوقى كان يفضل السمراوات ذوات القسمات المصرية، الضامرات فى غير سقم ، الشاحبات فى غير ضعف .

وقد لتى شوقى فى حياته حرباً كثيرة ...

لقى حرباً من طه حسين ، والعقاد ، والمازني ، وعبد الرحمن شكرى وأنصلوهم جميعاً .

ثم لنى حرباً رخيصة من أصحاب الصحف الصغيرة طمعاً في ماله .

سمعت من المرحوم أحمد فؤاد صاحب جريدة « الصاعقة » ... الملقب بفؤاد الصاعقة .. أنه كان كلما أعوزه المال ، أوفد إلى شوقى رسولا يخبره بأن فؤاد الصاعقة سوف يهاجمه .

وكان شوقى يفزع من النقد ، فكان إذا سمع هذا ، أوفد إلى صاحب الصاعقة من ينفحه بما شاء من المال ليسكت عنه .

ومع هذا كان فؤاد الصاعقة يعبد شوق ، ويحفظه عن ظهر قلب، كما كان يحفظ ثلاثين ألف بيت على الأقل لغيره من أعلام الشعر العربي .

ولتي شوقى كذلك حرباً عواناً من بعض الصحف الكبيرة ، لظروف قاسية شيى ، منها صلاته الوثيقة بالقصر ، وخصومته فى بعض الآونة لسعد زغلول ، وصلة المصاهرة التى ربطته بإسماعيل صدق ، وكان الكتاب يومتذ يخلطون بين الأدب والسياسة ، ولا يفرقون بين شوقى

الشاعر وشوق صهر إسهاعيل صدق .

. .

وقد ذكرت بعض أسهاء أحب أن أعود إليها فى قصص لا يجوز إسقاطها من حياة شوقى :

## بطرس غالى :

كان ذا يد على شوقى . رثاه رثاء لم ينس فيه حساب الوفاء ، ولانسى حساب الوطن .

قتل بطرس غالى بيد الوردانى ، بعد موقف معروف فى قضية مصر ، وفى قضية قناة السويس بالذات . فثار بعض إخوتنا الأقباط ، وأوشكت الفتنة أن تضطرم والفرقة أن تكون ، فقال شوقى فى قصيدة طويلة :

بنى القبط إخوان الدهوررويدكم

هبوه يسوعاً في البرية ثانيا

حملتم لحكم الله صلب ابن مريم

وهذا قضاء الله قد غال غالبا

تعالوا بئا نطوى الجفاء وعهده

وننبذ أسباب الشقاق نواحيا

ألم تكن مصر مهدنا ثم لحدنا

وبينهما كانت لكل مغانيا ؟

ألم نك من قبل المسيح ابن مريم

وموسى وطه نعبد النيل جارياً ؟

فهلا تساقينا على حبه الهوى

وهلا فديناه ضفافاً ووادياً ؟

ومازال منكم أهل ود ورحمة

وفي المسلمين الخير مازال باقياً

هذه الشوقية غير المشهورة ، أعدُّها من أجلَّ الأعمال الوطنية في تاريخ مصر الحديث .

### سعد زغلول:

كانت هناك جفوة بين شوق وسعد فى بعض الآونة . ولكن تقدير كل من الرجلين للآخر لم يتأثر بهذه الجفوة فى يوم من الأيام . بل إن كلاً منهما كان يطوى صدره على ود كامن للآخر ، تحول دون إظهاره قسوة الظروف .

فإن أردت مصداقاً لهذه الحقيقة ، فحسبك أن تعرف أن سعداً ، يوم زفاف على بن شوقى ، أجل البرلمان ساعة كاملة ليحضر الحفل .... وهذا شيء لا نظير له فى تاريخ البرلمانات .

وحييًا ذهب ، وجلس مع شوقى ، أخذت لهما صورة معاً .

وقال الأستاذ الجديلي ، وهو يومئد سكرتير سعد : ( هذه صورة الحالدين » .

فابتسم سعد ، وأشار إلى شوق قائلا: « هنا الحلود » !

للوكيل ثمين

شيء

وخرج سعد ، فقال شوق : « حقيًّا إنه لزعيم حائز لكل صفات الزعامة. قيل له : « وما صفاتها ؟ » قال : « أن يكون الزعيم على بسطة من العلم والجلسم ، قويبًّا على نفسه ، جريئاً في الحق ، خبيراً بمختلف الشؤون السياسية والقانونية ، قويبًّا وليس بقاس ، رحيماً وليس بضعيف ، خطيباً قوى الحنجرة ، حسن البيان والإلقاء ، يقدر الكبير من أعوانه ، ولا يجرح صغيرهم ... وقبل ذلك أن يكون حسن الوجه ، فلم يرسل الله نبيًّا قبيح الحلقة قط » !

. . .

ويجرنا ذكر سعد إلى حديث عن شقيقه فتحى زغلول . كان فتحى زغلول شيئاً غير سعد .

وحسبنا من أمره أنه كان قاضى دنشواى ، وعون الإنجليز على شهدائنا .

وحين رقى إلى منصب وكيل الحقانية ( العدل الآن ) مكافأة له من الإنجليز على أحكامه فى قضية دنشواى . أقام له الوصوليون حفلة تكريم فى فندق شبرد ( القديم ) ودعوا شوقى إلى أن يساهم فى الحفلة بقصيدة ، فظل يسوفهم ، ويسوفهم إلى أن استيأسوا ، فإذا بهم يفاجأون بظرف يصل إلى شبرد قبل بدء الحفلة بلحظات ، وبداخله هذه الأبيات :

إذا ما جمعتم أمركم وهممتمو بتقديم خذوا حبل مشنوق بغير جريرة

وسروال مجلود وقیصد سجین ولا تعرضوا شعری علیه فحسبه من الشعر حکم خطه بیمین

من الشعر حكم خطه بيمين ولا تقرءوه في شبرد « بل اقرءوا

على ملأ في دنشواي حسزين

وشوقى هو شاعر الدنيا .....

وهو شاعر الفراعنة والعرب . .

وهو شاعر الأقباط والمسلمين ..

كانت مصر ، بكل ما يحفل به ماضيها ، وما يجتازه حاضرها ، وما يؤمل لمستقبلها . أقوى مادة للإلهام عنده .

وملحمته الخالدة « كبار الحوادث في وادى النيل » التي ألقاها في المؤتمر الشرقي الدولي المنعقد في مدينة « جنيف » في سبتمبر سنة ١٨٩٤ كمثل للحكومة المصرية ، من أروع الملاحم في تاريخ الشعر العربي جملة ، فهي تروى قصة مصر بكل ما عبر بها من أحداث منذ عهد الفراعنة إلى ذلك الحين (١٨٩٤) رواية مفصلة جرى فهها على روى واحد من الشعر في غير تكلف ولا افتعال ، إلى أن وصل إلى ثلمائة بيت .

وقد لج به هوى مصر ، أكثر ما لج ، إذ هو في منفاه بالأندلس،

حيث كان شعره يذوب حنيناً ويتحرق شوقاً إلى مصر وهناك قال هذا البت :

وطنى لو شغلت بالحلد عنده

نازعتني إلىه في الخلسد نفسي

• • •

وكان الاستعمار في عصر شوقى لا يدخر جهداً في الإيقاع بين المسلمين والأقباط ، حتى يحق له البقاء بخيله ورجله بدعوى حماية الأقليات ولقد نجح الإنجليز حيناً من الدهر في هذه الوقيعة ، فكان هناك إيثار لطائفة يثير حفيظة الطائفة الأخرى ، وكانت هناك مؤامرات يدبرها المستعمر لتحقيق غايته ، وإقامة دعواه في البقاء باسم حماية الأقليات ، وهي أرخص ما اخترع الإنجليز من التحفظات الأربعة المشهورة في تصريح ٨٨ فبراير ، حتى قام سعد زغلول ، فقضى على حجمهم وأبطل دعواهم إلى الأبد .

وفى خلال هذه المؤامرات ، كان شوقى يتغنى بالمسيح بن مريم ، ويقرن ذكره دواماً بذكر محمد بن عبد الله ، فينزل قوله برداً وسلاماً على قلوب المصريين أجمعين .

ويشاء الإله الواحد ، إله المسلمين والأقباط ، أن يجيء عيد الهجرة مع عيد الميلاد في وقت واحد ، في أحد أعوام الفتنة ، فيهتف شوقي :

عيد المسيح وعيد أحمد أقبلا

يتباريان وضاءة وجمالا

ميلاد إحسان وهجرة سؤود

قد غيرا وجه البسطة حالا

ثم يتحدث عن فتح الترك للقسطنطينية وتحويل « أيا صوفيا » من كنيسة إلى مسجد ، مما قد تتبلبل معه خواطر متعصبة ، فيقول شوقى فى دعوة جميلة إلى السهاحة :

كنيسة صارت إلى مسجد

ومرة أخرى . . وبطرس غالى يومئذ عزيز الأقباط فى مصر ، وقد أقيم له حفل تكريم لم يفت شوقى أن يبادر إلى الإسهام فيه . . يصيح أمير الشعراء صيحة صدق فيقول :

يا بني مصر لم أقل أمة القب

ط ، فهذا تشبث بمحال

واحتيال على خيال مسن المج

لم ، ودعوى من العراض الطوال

إنما نحن مسلمين وقبطاً

أمة وحدّت على الأجيـــال

سبق النيل بالأبوة فينسا

 ثم ها هو ذا يتحدث عن ميلاد المسيح ودخول المسيحية إلى مصر فيقول :

ولد الرفق يوم مولد عيسي

والمروءات والهسدى والحياء

ازدهي الكون بالوليد ، وضاءت

بسناه من الثرى الأرجـــاء

وسرت آيــة المسيح كما يه

سرى مـــن الفجر في الوجود ضياء

لا وعيد ، لا صولة ، لا انتقام

لا حسام ، لا غزوة ، لا دماء

إنما ينكر الديانات قسوم

هم بما ينكرونه أشقياء

. . .

وهو على شدة اعتداده بإسلامه ، يرى مصر ديناً مع الدين ، وأخشى أن أقول إنه يراها ديناً قبل الدين ، كما تشهد بذلك أبياته الى قالها حينها ثارت الفتنة بين المسلمين والأقباط فى مصر عقب مصرع بطرس غالى ، والتي سقتها من قبل .

وقصيدته فى النيل هى من خير مصرياته ، وهى تربو على مائة وخسين بيتاً ، تجرى فى أروع النغم وترسم أجمل الصور ، ويسهلها بقوله : من أى عهد فى القرى تتدفق وبأى كف فى المدائن تغدق ومن السياء نزلت أم فجرت من عليا الجنان جداولا تترقرق وفيها يقول عن النيل فى لفتة روحية مشرقة يسوغ فيها تأليه الفراعنة للنهر الواحد :

دين الأوائل فيك دين مروءة لم لا يؤله من يقوت ويرزق
لو أن مخلوقاً يؤله ، لم تكن لسواك مرتبة الألوهة نخلق
ومع أن هذه القصيدة هى أجمل مدحة النيل فى تاريخ الأدب
العربى ، فإن من آيات العبقرية وجزالة الإلهام عند شوقى ، أنه أنجزها
كلها فى لبلة واحدة كما أسلفت القهل .

. . .

وكان مسلماً شديد الاعتزاز بإسلامه ، ويصل به شعره الديبى إلى مراتب المتصوفة ، كابن الفارض والبوصيرى ، من الناحية الروحية ، وإن تجاوزهم في الناحية الشعرية إلى درجة أعلى ونفس أجمل .

ومن أروع إسلامياته ، همزيته النبوية التي يستهلها بقوله :

ولد الهدى فالكاثنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء
وقصيدة « إلى عرفات » ... ومعارضته الرائعة لنهج البردة ، التي
يستهلها بقوله :



من روح الإسلام ، من تحلُّ بالفضائل ، وزهد في عرض الحياة الزائل ودعوة إلى الخير والبر ، وتبشير بالعدالة الاجتماعية كجزء من رسالة الإسلام . ومما يجعل لهذه اللفتة المراثعة قدرها ، أن شوقي قد سبق إليها الزمن ، وبشر بها قبل ثورة ١٩٥٢ بأكثر من جيلين ، وجاهر بها في عنفوان طاغوت الملكية والإقطاع .

يقول شوقى فى الهمزية النبوية ، والخطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام: الإشتراكيون أنت إمامهم لولا دعاوى القوم والغاواء داويت متئداً وداووا طفرة وأخف من بعض الدواءالداء إلى أن يقول :

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى فالكل فى حق الحياة سواء فلو أن إنساناً تخير ملــة ما اختار إلا دينك الفقراء

ومع هذا ، يكن شق بالمسلم المتعصب الذى يعميه غلوه فى الدين عن تقديس المسيح عليه السلام ، والإشادة بدعوته إلى الحب والسلام .

#### عروبته:

وشوقى هو شاعر الشرق العربي ، بمجموعة دوله .

لقد أسهم شعره فى الثورات العربية ، وفى دعوات الحرية بها ، وفى تسجيل أحداثها وتكريم أبطالها ، وقد أحسن القول فى نفسه حين قال فى الحفلة التى عقدت له جميع الشعوب العربية فيها البيعة لإمارة الشعر :

كان شعرى الغناء في فرح الشرق ... وكان العزاء في أحزانه فهو يبكي مع أهل الشام في نكبة دمشق، في قصيدته المشهورة : سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق وهو يتغنى بجمال لبنان في قصيدته عن زحلة : شعت أحلامى بقلب باك ولممت من طرق الملاح شباكي إلى أن يصل إلى ذروة الغنائية قائلا:

ما يشبه الأحلام من ذكراك مثلت فى الذكرى هوا كوفى الكرى والذكريات صدى السنين الحاكى غناء كنت حيالها ألقاك ووجدت في أنفاسها ريّاك

يا جارة الوادى طربت وعادني ولقد مررت على الرياض بربوة ضحكت إلى وجوهها وعيوبها

ويحبى شهيد ليبيا ، عمر المختار ، بقوله بعد استشهاده : يستنهض الوادى صباح مساء ركزوا رفاتك في الرمال لواء يوحي إلى جيل الغد البغضاء يا ويحهم ، نصبوا مناراً من دم

## عالميته:

ويتسع قلب شوقى للإنسانية جمعاء ، وتتلفت شاعريته إلى كل ركن من أركان العالم ، فهو يخلد عبقريات شكسبير وتولستوى وفیکتور هوجو وفیردی ونابلیون وأرسطو وابن زیدون . وهو یذرف الدموع على ضحايا الانقلاب العثماني ، وضحايا زلزال طوكيو وبوكوهاما ،

وعلى ضحايا الحروب والمظالم والطبيعة وشهداء الحرية في كل مكان.

حبه للحياة:

وكان شوقى يحب الدنيا ، ويأخذ نصيبه منها ، تشهد بذلك خرياته ، ووصفه للجعة هذا الوصف الرائع :

حف كأسها الحبب فهى فضة ذهب أو دوائر دور مائج بها لبب (١) أو فم الحبيب جلا عن جمانه الشنب (٢) أو يداه ، ياطنها عاطل ومختضب أو شقيق وجنته (٣) حين لى به لعب راحة النفوس ، وهل راحة عندها تعب يا نديم خدف بها لا كبابك الطرب لا تقلسل عواقبها فالعواقسب الأدب ثم في قوله في قصيدة (رمضان ولى) ... وقد ترجمت جريدة

<sup>(</sup>١) اللبب : موضع القلادة في الصدر (٢) الشنب : حلاوة الأسنان

<sup>(</sup>٣) الشقيق : واحدة شقائق النعمان ، زهور حمراء ً

(الطان) بعض أبيات هذه القصيدة واحتفت بها على صفحاتها : رمضان ولى ، هاتها يا ساق مشتاقة تسعى إلى مشتاق ماكان أكثره على ألاً فها وأقله فى طاعة الحلاق

## إلى أن يقول :

هات اسقنها غير ذات عواقب حتى تراع لصيحة الصفاق صرفاً مسلطة الشعاع كأنما من وجنتيك تدار والأحداق حمراء أو صفراء، إن كريمها كالغيد، كل مليحة بمذاق

#### مسرحياته:

لم يعرف العرب فى تاريخهم فن التمثيل كما عرفه المصريون القدامى فى معابدهم ، ولا كما عرفه اليونان والرومان بعد ذلك فى مسارحهم .

فالتمثيل فى بلادنا العربية فن مستجدث ، نستطيع أن تحدُد بدايته حين بدأ مارون النقاش محاولاته الأولى فى التأليف والتمثيل المسرحى فى بيروت ، ثم انتقلت هذه المحاولات وصاحبها ومن نسجوا على منواله إلى مصر ، وبدأ عهد من التأليف المسرحى الهزيل ، ثم تبعيها حركة لترجمة روائع المسرح الأوربى إلى اللغة العربية نثراً، ثم نظماً صالحاً للغناء مما تطلبته حاجات المسرح الغنائي الذي نشأ في مصر فى الربع الأول من هذا القرن.

ثم كانت المسرحية الزجلية التي قاد زمامها عنَّان جلال، واعتمد فيها على الاقتباس ، كما صنع في مسرحيته « الشيخ متلوف، المقتبسة من مسرحية « تارتوف ، لموليبر .

ولم يعرف المسرح العربى المسرحية الشعرية متكاملة المقومات إلاحيها نزل شوقي إلى ميدانها سنة ١٩٢٧ ، وكان إلمامه الواسع بالأدب الفرنسي ولياليه الطويلة في مسارح باريس وهو يطلب العلم هناك أيام شبابه ، ولاسها مسرح الكوميدى فرانسيز ، وما شاهد على خشبته من روائع كورنبي وراسين وموليير ... كان كل هذا عدته في الإقدام على هذه الحطوة الرائدة في تاريخ المسرح العربي ، وفي تاريخ الأدب العربي جملة ، فكتب مسرحياته «مصرع كليوباترا » و « على بك الكبير » و « قمييز» وا مجنون ليلي » وا عنترة » وا أميرة الأندلس و ا ملهاة ، الست الهدى التي تميزت بلون جديد ، هو المحلية ، والروح المصرية المرحة ، واللغة المصرية الفصحي ، أي اللغة السهلة التي لا تخرج عن حدود القاموس العربي ، مع تطعيم يسير ببعض الألفاظ والتعبيرات القاهرية بحيث يستسيغ القصة كلها ويستوعبها كل قارئ أو مشاهد ، سواء أكان من الخاصة أو العامة .

وإذا كانت حرفية المسرح فى هذه الروايات تعرضها لناحية من النقد فى بعض المواقف ، فإن روعة الشعر وانسياب الموسيقى وضخامة الموضوع ، تطغى على أكثر هذا النقد، وتضع هذه الأعمال فى مكان حى من تاريخ الأدب العربى .

وقد تغنى شوقى ، من خلال الحوار الشعرى فى هذه المسرحيات ، بالحب العفيف فى « مجنون ليلى » ، وبالعاطفة والبطولة فى « عنترة » وبحرية مصر وكفاحها ضل الاستعمار فى « مصرع كليوباترا » « وعلى بك الكبير » و « قمبيز » وبأنجاك العرب فى « أميرة الأندلس » وبنقد المجتمع فى « الست هدى » .

. . .

وقبل أن ننتهى من هذه الكلمة عن شوقى ، ينبغى لنا أن نقول إن عصر النهضة فى تاريخ الشعر العربى فى العصر الحديث،الذى بدأ بمحمود سامى البارودى ثم إسهاعيل صبرى ، كان فى يد القدر بعد هذين العلمين ، لولا أن أتاحت العناية لهذه النهضة عبقرية شوقى العملاقة التى جددت قوى الشعر ، واستحدثت مدرسة لاتزال مزدهرة كل الازدهار ، ولايزال مريدوها وتلاميدها والمتأثرون بها هم شعاعات هذه النهضة حتى اليوم .



# ت ايمرالكرنك في أحمد فتحي

لم يعرف عامة الناس هذا الشاعر ، أحمد فتحى ، قبل أن يغنى له عبد الوهاب أنشودة الكرنك ... كما لم يعرفوا صاحبه على محمود طه قبل أن يغنى له عبد الوهاب ما غنى له من أغاريد عذبة ، مها « الجندول » و « كليوباترا » و « ليالى كليوباترا » .

وإذا كان الغناء يمنح الشعر كل هذا القدر من الذكر وبعد الصيت فإن الشعر يرد الجميل مضاعفاً ، ويمنح الغناء قدراً أكبر من الحلود ، بدليل أن هذه الأغنيات الشعرية التي ألفها أحمد فتحى وعلى محمود طه ، لاتزال تجرى على ألسنة الناس بعد أن مر عليها عقدان أو أكثر من عقدين من الزمان ، على حين أن عشرات ومئات من الأغنيات الدارجة التي يغنيها أعلام الغناء تموت على ألسنة الناس قبل أن ينصرم من عمرها نصف العقد أو ما دونه . وهذا وجه من وجوه شرف الفصحى على الدارجة .

. . .

منذ ماثة سنة أو أكثر قليلا ، شدت أسرة من بطون الجزيرة العربية ، اسمها أسرة فايد ، رحالها للهجرة إلى مصر بغاية الإقامة فيها لأمر لا نعلمه .

رحلت الأسرة ومعها خيامها إلى أن حطت بها فى رمال الصبحراء بمحافظة الشرقية ، عند موضع يقال له « كفر الحمام » حيث نصبت خيامها المصنوعة من الشعر – شأن البدو – وانتشرت فى تلك البقعة من الأرض ، ومازالت بها تعالجها بالفأس والماء حتى جعلت منها قرية زراعية خصيبة ذات بيوت من الطين كسائر بيوت ريف مصر.

من هذا البيت ، وفى هذه القرية النائمة على حافة الصحراء ، نشأ الشيخ إبراهيم سليان ، أبوشاعرنا أحمد فتحى إبراهيم سليان .

وكان الشيخ من علماء الأزهر ...

وكان ينظم الشعر ، وقد شارك بمنظومه الملتهب فى ثورة سنة ١٩١٩ ،
واشهر عنه أنه كان ينظم المظاهرات الوطنية فى الإسكندرية مستعيناً
بزملائه وتلاميذه ، إذ هو شيخ للمعهد الدينى هناك ، وقد زج به فى
السجن وتعرض بيته لغارات الشرطة أكثر من مرة .

وقد تزوج الشيخ أكثر من مرة ، ومن إحدى هذه الزيجات خرج شاعرنا إلى النور فى اليوم الثانى من أغسطس سنة ١٩١٣ .

ولهذا كان الشاعر كلما ألمت به ملمة ، وذكر هذا التاريخ في تشاؤم قال : ألست من مواليد سنة ٢٠٠ . ؟

تطيراً بالرقم الذي يقال إنه مشتوم .

قضى الشاعر طفولته موزع القلب بين الإسكندرية ومسقط رأسه قرية كفر الحمام .

ولما شب عن الطوق ، التحق بالمدرسة الابتدائية في الإسكندرية ، ثم تجاوزها إلى المدرسة الثانوية . وماتت أمه وتركته طفلا لم يجاوز العاشرة بكثير ... ثم مات أبوه وهو ابن خسة عشر عاماً ، فتعثر في دراسته ، وبدأ يلتقي بالشيطانين : شبطان الشعر وشيطان الحياة .

. . .

لم يرث الشاعر عن أبيه شيئاً من الإرث إلا وسامته وعينيه الزرقاوين وسجية الشعر . .

ومنذ تلك السن المبكرة – الحامسة عشرة ب عقبه الشاعر مع الشيطان صداقة عجيبة ، لعبت أكبر دور فى حياته – كما فعلت بالدكتور فاوست – حتى هدمته وحطمته .

منذ تلك السن المبكرة بدأ يمارس لذاته الحسية، ويصاحب الكأس، فلم يستطع أن يظفر بشهادة « الكفاءة» على تواضعها .

وكفله خاله بعد موت والديه ، فحاول تقويمه ، على غير طائل ، فألحقه بمدرسة الفنون التطبيقية ـ وهى يومئذ مدرسة صناعية متوسطة ـ فلبث بها حتى تخرج فيها سنة ١٩٣٠ ، وعين موظفاً بجمرك الإسكندرية .

. . .

وتنتقل الوظيفة بشاعرنا من جمرك الإسكندرية إلى التعليم الفي ، في سنتعل مدوسة المستاعات بالسويس . وفي هذه الفترة يبدأ اتصاله بالحياة الأدبية ، يراسل مجلة «أبولو» . . . التي كانت تصدر عن جماعة «أبولو» للشعر في تلك الآونة .

ويتردد كثيراً على القاهرة ، ويتعرف إلى شعرائها وأدبائها ومحافلها

الثقافية ، ويخوض معاركها الفكرية ، فترى له فى مجلة «أبولتو » مقالا عنوانه « فى معنى الانتحال » يهاجم فيه العقاد وأصحابه ، ويأتى بشواهد على نظر العقاد فى شعر سابقيه وسطوه على معانيهم ...

. . .

وتكتب لقمة العيش على أحمد فتحى أن يذهب إلى الأقصر ، مدرساً بالمدرسة الصناعية ، فلا يستطيع أن يغرق همومه فى النيل أو يؤقلم روحه ويروضها على التصوف فى معابد الأقصر الحالدة ، فقد غلبته لذات الحس فى ذلك الحدب ، فلأته حنيناً إلى القاهرة وكل ما فى القاهرة من متاع .

ومن يدرى ... لعله لو لم يذهب إلى الأقصر ولو لم يستوح هذه الأحجار الجائمة والأطلال القائمة ، ما عرف الناس شيئاً من أمره ، ولا سمعوا بناً من شعره .

على أن كل أجره عن هذه القصيدة لم يزد على ثلاثة جنيهات تقاضاها من الإذاعة في ذلك العهد.

وبعد نجاح أنشودة الكرنك ، وما أضفت عليه من ذيوع صيت ، نظم أنشودة أخرى بعث بها إلى عبد الوهاب ، مستشفعاً بكثير من كبراء العهد ، ومنهم الدكتور طه حسين ، والمرحوم محمد سعيد لطفى . بيد أن عبد الوهاب أتعبه وأضناه .

فلما أوشك أن ييأس منه ، اتجه إلى أم كلثوم وتوجه إليها بأنشودة عنوانها و نداء الغروب، وهي من وحي وادى الملوك ... : ولكنها غضت الطرف هى الأخرى يومئذ، فلم يجد مناصاً من أن يشيع أغانيه على ألسنة الصف الثانى من أهل الغناء ، فنظم عشرات الأغانى بالفصحى والدارجة، ولكن أغنية منها لم تشتهر ولم تصب من الحظوة عند الناس بعض ما أصابت أنشودة الكرنك .

وعادت لقمة العيش تحمله من الأقصر إلى الفيوم ، وتقربه إلى إلى حبيبته : القاهرة .

ومنذ طفولتنا ونحن نسمع ذلك الموال الشعبى العذب ونشجى له : سبع سواق بتنعى لم طفوا لى نار ...

وكنت أحسبها أسطورة لا وجود لها ، هذه السواق السبع التي تنعي ، ا لما أن رأيتها في ربوع الفيوم حقيقة واقعة رائعة .

ورأيت حولها عيون « السلبين » وعيون « الفديمين » و « الحدائق المعلقة » و « يحيرة قارون » وغير ذلك من آيات الطبيعة الساحرة ، وكأن هذه البقعة من أرض مصر قد اغتصبت من بقية مصر نصيب الأسد من السحر والشاعرية .

وقد عاش رامى فترات من شبابه فى هذا الفردوس ، وكانت له فيه قصة حب سجل مراحلها فى أكثر من قصيدة من شعره العذب ، أخص بالذكر منها قصيدة وريفية القيوم، التى مطلعها :

نشأت فى منابت التين والزيتون أ.... فى ظل هادلات الكروم وسقاها من بحر يوسف عـــذب سلسبيل من مسكه المختوم

سمعنا هذه القصيدة العذبة من رامى فى مطالع شبابنا ، فى أول الثلاثينات ، وكان أحمد فتحى يؤم بعض مجالسنا فى عهد جماعة «أبولاً و ويسمع هذه القصيدة ويفتن بها .

وهكذا علقت بخياله صور حلوة للفيوم كما رسمها رامى. منابت التين . . وهادلاتالكروم . وبحر يوسف ... وسواق الهدير .

فلما كانت نقلته إلى النميوم سنة ١٩٤١ ــمدرساً بالمدرسة الصناعية ــــ تفاءل خيراً وكتب إلى صاحبه أنور أحمد يقول له :

« السواقى تكاد تطغى على نداءات خواطرى وأنا أكتب لك ، ومع هذا فإنه لنواح حبيب ياليتنى أستطيع أن أسجله فى أبيات كما سجله راى فى قصائد » .

بيد أن الحرب كانت قائمة يومئذ ، وقد نجحت الدعاية البريطانية في اجتذاب الشاعر إلى جانبها بما أغدقت عليه عن طريق أغانيه وأحاديثه في الإذاعة البريطانية - من دخل أعانه على يسر الحياة وأسباب المتعة ، فانغمس فيها ، ووجه شعره إلى التنديد بالمحور ونصرة الحلفاء ... ومن ذلك قوله :

... عليهم فى فتنة واغترار أمس بين الحصوم والأنصار واستباحوا فى الأرض كل دمار لحديد قد أعتدوه ونـــار ... فويل للمعشر الكفار

جن بعض الشعوب واختلط الأمر نقضوا المؤثق الذى أبرموه ومشوا فى البقاع تيها وعجبا فى اعتـــداد ـ بقـــوة زعموها كفروا بالسلام والحق والحــير

هكذا قال الشاعر.. وكأنما الحلفاء لم يكونوا هم الآخرين كفاراً بالسلام والحق والحير .

وهكذا اتخذ أحمد فنحى موقفاً من معركة الحلفاء والمحور. وسواء أكان موقفه هذا عن إيمان أو عن غير إيمان. فقد زج به لسوء حظه ، في تيار لم يستطع أن يرجع عنه فيا بعد ، إلى أن قذف به ، بعد مرحلة الفيوم ، إلى ميدان الحرب في الصحراء الغربية ، بعيداً عن وطنه ، ضابطاً في قوات الحلفاء ، يلبس كسوة ضباطهم وهو يشعر بالحجل منها .

ماذا حدا بشاعرنا إلى هذه النقلة السوداء ؟

إنه يفسر لنا نازعة النفس التي قذفت به إلى الصحراء في إحدى رسائله الشجية ، فيقول :

وأنت تدرى أننى رجل لا سبيل للمال إلى استمالته . ولكن ....
 حدث أننى سعيت إلى الشهرة سعى المجد ، وطلبت المجد طلب الملحاح ،
 وبدلت فى سبيل ذلك ما بذلت من نضرة شبابي ونور عينى .

وفلما بدأ نجمى يتألق فى سهاء المجتمع ، وأقبلت على الشهرة إقبال المشوق ، كان ما تبتى فى النفس ذماء لا يكاد ينتفع بالحياة ف جملها ولا في تفصيلها .

 د فقدت نصف قلبى منذ ثلاثة أعوام ، وفقدت نصفه الباق منذ أيام .... و :

صار جداً مالهوت بـــه ربّ جدّ جرّه لعــب

ولقد فزعت إلى الشراب من مواجعى وعذاب دنياى ،، فما زادنى إلا ضعفاً عن احمال الحياة ومواجهة متاعبها ، وعادت علة الجسد تزيدنى من يقظة جراح قلبى ، وأصبحت حياتى كلها مقاساة ونكداً .

«وتلفت حولى ، فإذا أنا ... ولا ناصر ولا معين . . وإذا مثلى كثل الكسرة من الحبز العفن ، ملقاة فى عرض الطريق ، إن وجدت نقيًّا يرفعها إلى جانب الحائط، فإنها لن تجد من يأكلها بأية حال .

«قلت لنفسى: لعلنا نصطنع لنا وطناً جديداً وعملا جديداً وآفاقاً جديدة ، يرتع فى ظلالها الإحساس الجريح والحيال مهيض الجناح ، ولعل تغير الجو المحيط وتبديل الوسط وتجديد المعالم ... لعل ذلك كله أن يعين على صفحة الماضى بخيره وشره ، بل بشره وحسب ، فما كان فيه من خير قط .

« وفى بضعة أيام أبرمت الأمر ، وعقدت العزم على الرحيل ، لم أشاور أحداً ولم أستأنس برأى أحد ، بل استخرت الله فى المضى ، وحضرت رحلى أطياف الشباب من أمانى شاحبة غامت فى عبرات الأسف على ما ضاع من صحوة العمر ونضرة الشباب ، ورحلت وأنا لا أدرى إلى أين ؟.

« ولست أدرى حتى الساعة ماذا يراد بى ، فإن كان خيراً فقد أسلفت من الصبر والتجمل ما يثبت حقى فى أن أنعم بما بقى لى فى صحبة الحياة من أرحد ، وإن كان شرًا ، فقد : تعودت مس الضرحي ألفته وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

ولكن شر ما أكابد الآن ـ فى برقة ـ هو هجر شيطانى الصادح
 الذى طالماهششت إلى هزجاته بين تجهمأياى وفىأمسياتها العابسة، فما عدت أهتف ببيت من الشعر ، ولا عاد يطرفنى طيف من أطياف الحيال ».

والواقع أن شيطان أحمد فتحى لم يحسن صحبته بعد تلك الفرة ، فقد عاد شاعرنا من الصحراء الغربية بعد حين ، بعد أن خلع حلة الجيش البريطانى ، ولجأ إلى صاحبه المرحوم محمد سعيد لطنى مدير الإذاعة يومئذ – وقد كان على صلات طيبة بالإنجليز ، فتوسط الشاعر عندهم ، فعينوه مذيعاً ومترجماً للأخبار بالإذاعة البريطانية بلندن ، في مترة مظلمة ظالمة . تكاثرت فيها القنابل الطائرة على العاصمة البريطانية .

وذهب أحمد فتحى إلى لندن ، ولكنه لم يحسن صحبة من حوله ، ولم يتخل عن بوهيميته التى لا تقيده بموعد ، وتجعل موعد الحب قبل موعد العمل .

وهكذا ضاقوا به ... فلم يجد بدًّا من الاستقالة فى يونية سنة ١٩٤٦ ، أى بعد أن وضعت الحرب أوزارها بعام .

وحاول أن يبتى فى لندن ، كمراسل لبعض الصحف المصرية ، ولكن مراسلة الصحف لم تقم بأوده ، فحاول أن يمارس التجارة . ولكن متى كانت تجارة الشاعر رابحة ؟ على أن لندن قد حملته ذكرى ظل يدمع لها بقية حياته .

فقد أحب هناك ...

أحب شابة إنجليزية اسمها « كارول ، ... وهي من بنات الطبقة المتوسطة . وكانت تشتغل كاتبة على الآلة الكاتبة ، ونزوجها . ورزق مها طفلة أسهاها جوزيفين .

وكان قد تعود أن يفرط فى الشراب ، فلا يفيق منه ، وهكذا لم يستطع أن ينهض بتكاليف الحياة الزوجية . وجاءه النذير حينًا رفضت السلطات الإنجليزية أن تجدد إقامته هناك ، فكان عليه أن يرحل ، ويترك زوجته وابنته خلف ظهره ، ويبحث عن أى مصير .

وقد أتيح له فى أثناء عمله فى الإذاعة البريطانية أن يتعرف على كثير من الشخصيات العربية التى كانت تتردد على لندن ، ومن بينها الأمير عبد الله الفيصل ، وهو يومئذ شاب فى مثل سن شاعرنا ، وهو كذلك شاعر ، وله ديوان اسمه و عموم » .

ولعل صاحبنا شكا للأمير الشاب حاله ، ولعل الأمير لمس ما في المادنة السعودية . شاعرنا من مواهب قادرة ، فوحده بهيئة عمل له في الإذاعة السعودية .

وصدق الأمير وعده ، وعاد شاعرنا إلى القاهرة ، وتأهب للسفر -إلى السعودية .

وهناك ... أقام حينا مودداً بين عمله الإذاعى والاشتغال بالمقالات ولكن الأرض المقدسة ضاقت به ضيق الأرض غير المقدسة .. أرض الإنجليز ... فلم يلبث أن عاد إلى مصر ... ليعيش على عمل صحى طوراً ، وعلى صلة يصله بها صاحبه الأمير تارة ، إلى أن ودع الحياة وهو فى غيبوبة تمالة ، وحيداً فى غرفته بالفندق ، فى اليوم الرابع من يوليو سنة ١٩٦٠ .

. . .

مات أحمد فتحى دون أن ينال أى نصيب من الدنيا وعلى شفتيه وهم خلود يهمس للناس :

ماذا أفدت بأشعارى وروعتها سوى علالة تخليد لآثارى وما الحلود بمأثور لعاريسة غير الحسيسين من ترب وأحجار



## المتتبتي الجسكريد

إلياس فرحات

هناك قرية تنجب العباقرة . . .

اسم هذه القرية «كمرشما » بلبنان . . .

ومن هذه القرية ، خرج آل اليارجي، خير من خدموا اللغة العربية . . . وآل شميل . . . من خيرة من رعوا الثقافة . . . وآل تقلا . . من أنشأوا الصحافة .

ومن قرية العباقرة خرج المتنبي الجديد إلياس فرحات .

وحياة إلياس قصة من أجمل قصص الكفاح . . . فقد نشأ الصغير في كفر شيا . ودخل المدرسة ليتعلم ، فلم يقم بها إلا بضعة أيام خرج بعدها إلى الكفاح من أجل الرزق، يحترف التجارة ، أويقشش الكراسي ، أو يرنى الدجاج والحملان .

وفى فترات فراغه . . . يقول الشعر ألعامي .

ومن الشعر العامى تدرج إلى الشعر العربي ، بدون أن يعرف ما هو النحو ولا ما هو الصرف ، ولا ما هو الوزن ولا القافية .

وبهذه البضاعة المفلسة من العلم ، نزح إلياس من لبنان إلى البرازيل.

ولم يطلب العلم بعد ذلك فى مدرسة ، وإنما طلبه فى الجامعة الكبرى . . جامعة الحياة : صغيراً ، ولابعد هذا الكسير وذا الدهـ أستاذها المعتبر لسأن كنت لم أدخل المدرسات فسذا الكون جامعة الجامعات

وكان في جعبته يوم هجرته شيء يعتزيه ،كأنه قطعة من قلبه: خصلة شعر من فتاة من بنيات كفر شيا ، أحبها ، ولكنها زفت إلى غيره رسلطان الأهل والمال ، قال فيها :

> خصلة الشعـــر التي أهديتنيها لم أزل أتلو سطور الحب فيهــــا

عندما البين دعساني بالنفير وسأتلوها إلى اليوم الأخسير

> خنت عهد الحب . . . لا مأس ، فإني فإذا ما عدت أحسا بالتمني أحمد الله ... فما الاخلاف مني راجعي سيرة حيى . . راجعيها

مكتف بالأثر الغالى الثمين بعد أن منيتني عشر سنين إنى كنت اك الصب الأمين فهى نور ساطع للمستنسير إنها تعـــرف من أمرى الكثير

والياس شاعر غزل ، وشاعر كأس ، فهو خيامي كبير .

ولا أستطيع أن أترك الحديث عن غزله قبل أن أعرض هذه الأبيات التي تسيل رقة وعذوبة ، وعنوانها « تعال ». :

تعال . . . فما احتل قلبي سواك وغيرك في خاطري ما ســـلك

حبيبي ... تعال تجد مـنزلك معداً كما كان من قـبل لك

وإذا مرت بك الريح سليهـــا

تعال فهذا بساط الربيسع تعال أنظر النيرات اللسواني فلسولاك لم تبد هذى النجوم حبيبي تعال ادن منى فسكم تعال ارفسع اليأس عن مدىف تعال أشهد النزع ، نزع الذى تعال أبك صبا يسولي ولسولا أموت عسلي رشفة مسن لماك

يوشى بأزهاره مخملك تعرين لما لبسن الحلك ولولاك ما دار همذا الفلك حسدت السيم المذى قبلك إذا لم تبادر إليه هملك سوى دمعة الوجد لن يسألك وداع الحيساة لما استعجلك فيا أكسرم الناس ما أبخلك

الفكرة الشائعة أن هؤلاء المهاجرين من ربوع العروبة إلى أمريكا ، قد راحوا فوجدوا الذهب منثوراً على الأرض ، وما عليهم إلا أن يلموه . وهذا حديث خرافة . وحياة إلياس فرحات هي مثل حزين من أمثلة الكفاخ من أجل الرغيف في المهجر .

فقد بدأ إلياس حياته هناك يربى الخنازير ، فتدهورت أسعارها ، فتعلم تنضيد حروف المطبعة ، ولكنه ما لبث أن اختلف مع صاحب المطبعة . فراح يصنع بيديه الأطعمة الشرقية ويتجر فيها ، فلم يصادف رواجاً .

وأخيراً . . . حمل الكشة ( وهى صندوق من الزنك) على ظهره وطاف بالقرى والكفور يبيع مساطر التجار ( أى عيناتهم ) لحسابهم . وعشرون عاماً عبرت به وهو فى هذا الكفاح المرير ، يصفها فى قصيدة لعلها أجمل قصائد حياته ، اسمها و حياة مشقات . .

. . .

لازم النحس إلياس منذ ميلاده حتى بلغ الثلاثين . . ويروى صاحبه توفيق ضعون ، الذى استضافه فى بيته حقبة من الزمن ، هذه الحكاية :

و لقد أصبح في منزلي الحقير غرفة معروفة باسم غرفة فرحات ،
 وأصبح أصلقائي أصدقاءه ، ولكنا كنا جميعاً فقراء .

« وفى سنة ١٩١٨ ، حلت به النكبة الكبرى باحتراق طرف ثوبه ، فتشاورت مع شريكى جورج حسون فى أمره ، وقررنا أن لانحرج له من مأزقه إلا بالعمل . ولكنه لم يكن يصلح لأى عمل تجارى ، فاخترنا له عملا أدبيتًا ، فيكون ممثلا لحجلتنا « الدليل » ومراسلا لها فى الداخلية ، يجمع الاشتراكات من أطراف الولايات .

و ولكن كيف يقوم بهذه المهمة السامية دون رداء لائق يلبسه ؟

« لذلك كان أول ما فعلناه أننا حصلنا على بدلة بألف وخمسائة قرش ٤
 يرتليها معجلا ، وندفع نحن ثمنها مؤجلا على عشرة أقساط شهرية .

ه وسافر فرحات على بركة الله مزوداً بالتفويض القانوني وباللوائح
 والإيصالات، وبتنا نتوقع أخباره السارة :

ولكن كانت أولى رسائله أبياتاً من الشعر ينعى فيها إليناكم ردائه
 الحديدة الذى أحرقته شرارة من مدخنة القطار قبل المحطة الأولى :

کأن الحسواء مع النار لما فجاء بها من دخان القطار فقلت أعاتب ربى مشديراً المحلى ، تضن على بتسوب ولو كنت غصناً الحددت، ولكن أرى دون تجديده

رآنی لبست الجدید اتفیق ونرها فوقسه فاحسرق إلى الحرق وهو كباب النفق وتكسو الغصون ثیاب السورق متى ما یشیر الربیسع انطلق شقاء الأسى وسیول العسرق

فى هذه الظروف القاسية ، ووسط كل هذا الشقاء والجوع والعرى والحرمان ، لم ينس فرحات وطنه ، ولم ينس عروبته .

فهو لايزال يتغنى بلبنان ، مسقط رأسه .

ولكنه فى هذا التغنى لاينسى لحظة واحدة أن لبناذليس إلاجزءاً من وطنه الكبير ، الشام ، والشام عنده سوريا ولبنان معاً .

ثم لاينسى أيضاً أن الشام ليست إلا جزءاً من وطنه الواحد الأكبر ، الأمة العربية .

إذا وإن تكن الشمام ديارنسا فقاوينسا للعمرب بالإجمال أموى العراق ورافديسه وما على أرض الجزيرة من حصى ورمال وإذا ذكرت لنا الكنانة خلتنا نروى بسائغ نيلها السلمسال كنا وما زلنسا نشاطر أهلهما مر الأسى وحملاوة الآمال

ولايغنى إلياس للقونية العربية ثم يسكت. . . بل يمضى فى غنائه ، وهو الشاعر المسيحى اللبناني ، فيمعن فى الإشادة بمحمد وبالإسلام ،

و بكل بد شاركت في بناء هذه القومية .

يقول في مولد محمد:

عمر الأرض بأندوار النبدوة سأ الكسون ظلام دامسس من رأى الأعدراب فيوثبهم

كوكب لم تدرك الشمس عاوه فتحت في مكة للنور كسوه عرف البحسر ولم يجهل طموه

ولم يقف فرحات بشعره عند هذا الميدان وحده ، بل شارك في معركة فلسطين ، فكان له فيها أكثر من قصيدة ، منها قصيدته الرائعة التي نال بها جائزة المجمع العلمي المصرى ، سنة ١٩٤٧ ، وقدرها سبعون جنيباً .

وبرغم أنه كان في حاجة إلى كل درهم منها ، فِقد أبي أن يتسلمها ، وحولها كاملة إلى صندوق إغاثة فلسطين.

وعندما فقد العرب فلسطينهم ، قامت في أمريكا مؤسسة يسمونها النقطة الرابعة ، مهمَّها تزويد الأمة العربية بنوع من المخدر اسمه الدولار ، لعله ينسى أبناءها ما فقدوه في فلسطين من أرض ومن شهداء . ويومثذ قال فرحات في قصيدة عنوانها ﴿ حكمة الأفعى ١ :

إن تقليدك لي عين الشطط أبغية التمويه بالشهاد اختلط بيننا الفرق كبدير فاعلمسي لايحل الزيف ما الحق ربط رضى العالم عدى أم سخط

قالت الأفعي لأمريكا اسمحي أين مني أنت يا مـن سمها أنا لا أنكــــر :أني حيــــة

أنا لا يهتف بالسلم في أن الله أنصر لصا ، إن من أن لأحمى جناة خانة أنا لاأحمى المحتاج في أنا لاأستعبد المحتاج في خدعة سميها رابعة أنت فيك السم لاحصر له

ويدى ترسم للحرب الخطط ينصر اللص من اللص أحط قذف الموج بهم من كلشط نقطئة فيها من السم نقسط كل أرقامك من هدذاالنمط وأنا السم بنابي فقسط

تلكم هي قصة المتنبي الجديد في عجالة :

وقد عاد إلياس من مهجره إلى أرض العروبة فى سنة ١٩٥٩ فى عهد الوحدة ، وحيبًا نزل من الطائرة ، تلفت حوله ، ودمعت عيناه ، وقال : « ما فارقت هذه البلاد قط ، فقد حملتها معى إلى المهجر » . ولكنه لم يلبث أن عاد إلى مهجره من جديد ، بعد أن لم يجد سبيلا للعيش فى وطنه الأم .



### الأخط اللقغير

بشارة الخورى

بعد ، الأخطل الصغير ، مات الهوى . . . وتحطمت الكأس .

في الليلة الأخيرة من شهر يوليو سنة ١٩٦٨ ، ودَّع الدنيا أمير شعراء الحب والكأس في هذا العصر ، وسيد شعراء لبنان في كل العصور ، بشارة الخورى ، الذى اشهر باسم الأخطل الصغير ، وصاحب الحمرية التي نسخت كل خمريات ألى نواس ، وأصبحت عطراً في مشارب العشاق ، ونقلا في مجالس الشاربين ، التي يقول في مطالعها :

فتن الجمال وتدورة الأقداح صبغت أساطير المدوى بجراحي كسل الحوى وتثاؤب الأقداح في كأسها ، ألاتكون الصاحي

ولدالهوى والحمر ليلة مولدى وسيحملان معي على ألواحي با ذابح العنقود خضب كفسه بدمائه ، بوركت من سفاح أنا لست أرضى للندامي أن أرى أدب الشراب. إذا المدامة عريدت

اسمه الكامل: بشارة عبد الله الخورى ، وقد ولد في سنة ١٨٨٥ . بحي الرميلة القائم على ضفاف البحر المتوسط في بيروت ، من أسرة لبنانية خالصة ، نشأت في قرية « مشبش » بمنطقة جبيل . وكان أبوه ، عبد الله الخورى ، يشتغل بالحكمة ، وهي كلمة كانت تطلق في أيامه على مهنة التطبيب ، وكان الطب يومئذ بالممارسة لا بالدراسة والشهادة . بيد أن عبد الله الخورى ، برغم أنه كان غير مأذون - أى غير مؤهل - كان ذائع الصيت فى مهنته ، يشخص الداء ويحضر الدواء بمهارة كانت حديث الناس فى عصره ، وقد اقتنى من كسب مهنته ثروة واسعة . وقد رزقه الله بأربعة من البنين ، هم نخلة ويوسف وجورج وبشارة . أما نخلة . فقد سار فى ركب المغتربين إلى أمريكا الجنوبية ، فلم يعد حتى مات هناك منذ عدة سنوات ، وكانت الشيخوخة قد جدت بشقيقه - شاعرنا الأخطل - الذى لم يعلم بوفاته إلى أن لحق به فى الدار الباقية ، وأما الآخران ، يوسف وجورج : فقد تعلما على يد أبيهما صناعة الصيدلة ، وبرزا فيها ، وكسبا منها ثروة طيبة . وأما شاعرنا ، بشارة ، فقد أدركته حرفة الأدب منذ صباه ، فالتحق بمدرسة الحكمة ببيروت - ولا صلة لاسم هذه المدرسة بمهنة الحكمة الى مارسها أبوه .

وتفتحت شاعريته منذ نعومة أظفاره على أيدى أعلام الأدب والشعر الذين تتلمذ عليهم في هذه المدرسة ، وفي طليعتهم الشاعر الكبير شبلي ملاط ، والعلامة الشيخ عبدالله البستاني.

هكذا أدركته حرفة الأدب دون إخوته .

على أنه قد آثر أن يعيش محروماً كما عاش سواه من الشعراء ، ذلك أنه ورث أكثر من مرة . ورث أباه ، ثم أخويه يوسف وجورج ، وكان الميراث فى كل مرة ثروة طيبة ، أكثرها من البساتين النضرة المجزية فى محلة ، البوشرية ، ولكنه لم يحرص على الثراء، فباع هذه . التركات تباعاً ، وأنفقها ذات اليمين وذات الشهال ، إذ كان مسرفاً كريماً مضيافاً محبًّا للحياة ، لايرد سائلا، ولا يحجم عن لذة ، ولو أنه حرص على ميراثه من الأرض ، وادخره إلى هذا الوقت الذى ارتفعت فيه أسعار البساتين ، لكان من أصحاب الملايين ، على أنه لم يأسف يوماً على ما أضاع ، فقد كان يعد إنفاقه عن سعة ، سهاداً لشاعريته . والشاعرية وحدها – فيا يرى الشاعر الخالص – هى أرفع ألوان الثراء .

ومارس الأخطل فى شبابه مهنة تدريس الأدب العربي فى مدرسة « الثلاثة الأقمار » ، ثم فى مدرسة الفرير ببيروت ، وقد نبغ من تلاميذه فى مجال الأدب كثيرون ، من أبرزهم الأمير عادل أرسلان .

ثم ضاق بهذه المهنة، وأحب الصحافة، ولاسيا بعد أن انطلقت من عقالها على أثر الانقلاب العباني وسقوط دولة السلطان عبد الحميد، فأنشأ مجلة و البرق و الأسبوعية ، وحشد لها أقلام شعراء الأمة العربية فكانت مجلته سجلاً لأروع قصائدهم .

وخاض الأخطل معركة الحرية ، فكانت له مواقف عربية يذكرها التاريخ .

عمل - أول ما عمل فى هذا المعترك -- سكرتيراً لحزب الأرز ، الذى مهض قبيل الحرب العالمية الأولى ، وكانت رياسته الشرفية للحبيب باشا السعد ، ورياسته العاملة للأمير شكيب أرسلان ، وكانت رسالة هذا الحزب تتركز فى المطالبة باستقلال لبنان ، وانفصاله عن طاغوت الحكم

العَبَانَى ، وتوسيع رقعته الجغرافية ليعود إلى حدوده التي كان عليها قبل قبل سنة ١٨٦٠ .

ذلك أن لبنان يومئذ يقع تحت طائلة حكم دولى ، أرساه البروتوكول المعقود بين الدولة العبانية والدول الأوربية ، وكان هذا البروتوكول عثابة دستور يمنح أبناءه لوناً من الحكم الذاتى ، وإن كان يبقيهم رهن نيرين : السيطرة الدولية ، والسيادة الرمزية للإمبراطورية العبانية . كما أن البروتوكول قلم حدود لبنان، وأضاف منها إلى جيرانه، فكان من مطالب حزب الأرز استرداد ما ضاع من أرض لبنان ورده إلى أصله .

وشبت نيران الحرب العالمية الأولى ، وماتت روح الانقلاب في نفوس الأتراك ، فعادوا إلى سابق عسفهم وطاغوتهم ، وراحوا يطاردون أحرار الأمة العربية في كل بقاعها ، وينصبون لهم المشانق ويسلون عليهم سياط الجلادين ، فلاذ الأخطل الصغير بالجبال هرباً من كيدهم ، إذ كانوا يطلبون عنقه لارتفاع عقيرته بشعر الحرية ، وظل مستخفياً عليهم بين الوهاد أربع سنوات . وانتهت الحرب العالمية الأولى بمأساة سايكس بيكو ، التي قسمت الأسلاب العربية بين الحلفاء المنتصرين ، فكانت مصر والعراق وفلسطين من نصيب الإنجليز ، وسوريا ولبنان من نصيب الإنجليز ، وسوريا ولبنان من نصيب الانجليز ، وسوريا ولبنان

وعاد الشاعر الثاثر إلى المعركة ، وعلت صيحاته فى طلب الحرية من براثن المستعمر الجديد ، الذى عاد إلى مطاردته كما فعل الأتراك من قبل ، وعطل جريدته « البرق » التي كانت قد تحولت من أُسبوعية إلى يومية .

ومنذ يومئذ سكت بشارة الخورى الصحفى ، لينطلق الأخطل الصغير الشاعر . وخلص الشعر وأخلص له ، وراح يتر م بأجمل ما غى طير على ربى لبنان ، فتوالت غزلياته وخرياته وبدائعه التي تمل بها الماشقون ، وترتبح لها الشاربون ، وعزفتها أو تار أجمل حناجر أهل الغناء ، فغى له عبد الوهاب وفريد الأطرش وأسمهان وفير و ز ، وغيرهم من بلابل المشرق .

وعاش بشارة للحب والكأس ، بالطول والعرض .

كان الجمال يهزه من أعماقه إلى آخر أيام حياته ، وكان أكبر حب فى حياته هو حبه للحسناء ه أديل » التى التتى بها فى مطلع شبابه ، وهى شابة من بيت كريم ، فتزوجها ، ورزق منها بأكبر أولاده ، عبد الله ، ولهذا كان الاسم المحبب لديه أن يناديه أصحابه بقولهم : باأبا عبد الله . .

وأنجب منها بعده جوزيف وناجي ووداد.

وعاشت ( أديل ) في أعماق حبه الكبير .

أما الأخريات ، فكن ملهمات. . , نجود ملهمات . . على غرار ما أحبهن أمير الشعراء شوقى ، وقال فيهن : كل مليحة بمذاق .

ملهمات . . . يوحين بالمعنى للشاعر فيصوغه في قصيدة ، ثم لايلبث أن يسعى إلى معنى جديد . مهن الملهمة التى أوحت إليه بفكرة الصبا والحمال ، فقال :
الصبا والحمال ملك يديك أى تاج أعز من تاجيك
نصب الحسن عرسه، فسألنا من تراها له ؟ فدل عليك
فاسكبى روحك الحنون عليه كانسكاب الساء من عينيك
ومهن الحمال معقود الحاجبين، الذي ألهمه قوله :

يا عــاقد الحاجــبين عـــلى الجبين اللجــين إن كنت تقصــدقتلى قتلتــنى مرتــين

قرأت الأخطل الصغير منذ صباى . . . ذلك أنه ينتمى إلى المدرسة نفسها الني رادها أحمد شوقى : مدرسة الجزالة والخصوبة والثراء الموسيقى والإنسانية فى سموقدرها . فلما التقينا بعد ذلك لأول مرة ، وجها لوجه ، فى أحضان لبنان ، تعانقنا كأننا صاحبان على شوق منذ سنين .

كان هذا اللقاء فى يوم مشهود . . يوم أن قرر لبنان تتوبج شاعره الأكبر فى مهرجان كبير ، دعيت إليه وفود الدول العربية ، وذهبت إليه ممثلا لشعراء جمهورية مصر العربية ، والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، وجامعة الدول العربية .

وكان مهرجاناً رائعاً ، لم تشهد الأمة العربية سابقة له إلا مهرجان شوقى ، يوم توج أميراً للشعراء .

ولقد أقتم حفل الافتتاح لمهرجان الأخطل في مسرح اليونسكو

بييروت ، واحتشد لبنان كله فى المسرح وفيا حوله ، وذهب رئيس الوزراء إلى بيت الأخطل، ليأتى به إلى الحفل فى موكب رسمى حافل ، وكان ممثل رئيس الجمهورية عند الباب فى استقبال الشاعر العظيم ، وعزفت الموسيتى السلام الوطنى عند مقدمه ، ووقف له الوزراء والسفراء والكبراء ووفود الدول المشركة فى المهرجان.

واستمر المهرجان أسبوعاً كاملا ، حفلت أيامه ولياليه جميعاً بمفلات التكريم وآيات عرفان الجميل للشاعر الذى خلد الحب وقدس الجمال.

ومع هذا لم يكن الأخطل الصغير شاعر الحب والجمال وحسب ، وإنما كان صوتاً من أجمل أصوات الحرية ، ووتراً من أروع أوتار الدعوة العربية ، وآهة من أعمق الآهات المتأوهة بآلام الإنسانية .

استمع إليه فى قصيدة « شرف الفتح » » ينبه إلى حقد الغرب على الشرق لما لهذا من أصالة لم تتوافر لذاك، ثم ينتهى إلى أن عظمة الدولة العظمى لايهيئها لها استعبادها لرقاب العباد ، وإنما يهيئها لها تعرير رقاب العباد.

يقول بشارة:

ليت شعرى، ماذاجنيتاعلىالغرب لنُشوى على يديه ونقسلى ؟ الأنا من أفقنا تطلع الشمسس . . . فنعطى الغذاء حبًّا و بقلا؟ الأنا من صسدرنا ولد الحب . . . الذى شيد الحضارة قبلا؟ إن يكن ذاك ذنبنا ، وهسولة . . . فهلا عاقبتم الله . . هلا؟

#### إلى أن يقول:

شرف الفتح أن تحطم قيداً عن رقاب الورى، وتنشر عدلا وفي قصيدة « الذاب » . . . يحمل الأخطل حملة جريئة على حكام لبنان في بعض العهود المتراخية المستسلمة لطاغوت الاستعمار الفرنسي ، ويستنفر هم الشعب الثورة على هؤلاء الحكام وسادتهم ، ويناشدهم باسم أحمد والمسيح ، عليهما السلام ، أن يتوحدوا لرد الظلم وطلب الحرية .

يا أمة غدت النثاب تسوسها غرقت فليس هناك غير حطائم تتمرغ الشهوات في حرماتها تعساً لها من أمة ، أزعيمها رشيت مآذنها فلم تغضب لها ثم يقول في ختامها:

غرقت سفينها ، فأين رئيسها يبكى مؤبنها ويضحك سوسها وتعيث فى عظماتها وتدوسها جلادها، وأمينها جاسوسها ؟ غضب الكرام، وباعها ناقوسها

أتباع أحمد والمسيح، ألا الهضوا أتباع حرمتها وأتتم شوسها ؟ وفى بيتين له، عنوانها ( فليخجلوا » ينحى باللوم الساخر على الشرق الصابر على محنة الاستعمار صبراً دون صبر الكلاب .

إذا ما ضربت الكلب يعوى، وربما تقحم مؤذيه ، وعض بنابه وفي الشرق ناس لوسحقت رؤوسهم لما نبسوا... فليخجلوا من كلابه

وفى قصيدته ، وردة من دمنا ، يبكى الأخطل الصغير مأساة الأمة العربية ، ويذكر أبناءها بأنهم خير أمة أخرجت للناس ، ويستنهضهم لغوث فلسطين فى كلم راثع ونغم سلسال .

قبل أن نمشي إليهم بالعزاء .

سائل العلياء عنا والزمانا هل خفرنا ذمة منذ عرفانسا المروءات التي عاشت بنسا لم تسنول تجرى سعيراً في دمانا وكانت لمصربين شقيقاتها العربيات مكانة خاصة في أعماق الأخطل الصغير. ويوم وفاته ، كان أصدقاؤه في مصر يتلقون العزاء فيه كأنهم بعض أهله ، بل لعل أهله أنفسهم أحسوا ذلك ، فبعثوا يعزوننا فيه

وهو فى قصيدة « مرحباً مصر » يكرس الوشيجة التى تشدّ لبنان إلى مصر ، وشيجة المجد العريق فى كليهما :

مرحباً مصر مرحباً ، كل أهل الله أهل ، وكل صدر محل ليس تألو الرياض أن توقظ الزهر . . . وأن تجمع الشذاء ليس تألو لتريق الأريج سكباً وتهتاناً . . . على وجه مصر حين يطل مرحباً مصر ، يا شقيقتنا الكبرى . . . ويحلو ترديد مصر ويعلو غن فرعان ألف الشرق قلبينا . . . على الحب، والحضارة أصل معجزات الزمان منكم ومنا زن جيد الوجود والدهر طفل هم تجسم العظائم فيسه وسفين على البحار يدل مقصدة الأخطاف في ناء سعد غامان ملاسا مطاعيا الذي احترت

وقصيدة الأخطل فى رثاء سعد زغلول، ولاسيا مطلعها الذى اهتزت له المنابر، ووضعته يومئذ فى منزلة الحليفة الشرعى لأمير الشعراء أحمد شوقى :

> قالوا: دهت مصردهیاء فقلت لهم : قالوا: أشد وأدهى، قلت: و يحكمو

هل غيّضالنيلأمهلزلزلالهرم؟ إذن لقدمات سعد وانطوى العلم تيتموا .. كان زغلول أباً لهمو لم لاتقولون إن الشرق مضطرم ؟ .....

لم لاتقولون إن الغرب مضطرب؟ لم لاتقوا ثم يقول فى إشارة جميلة إلى وحدة عناصر الأمة :

وجاء سعد، فشمل الشرق ملتم والواحد الفرد فى أثوابه أم وعزم أحمد فى جنبيه يحتــدم والمسلمون سعوا للقبر واستلموا جاء النبيون من قبل، فما لأموا القائل الحمحق لا تثنى أعنت. لطف المسيح مذاب فى محاجره صلى عليه النصارى فى كنائسهم

لم لاتقولون إن العرب قاطبة

وفى رثاء شوقى ، صعد الحليفة إلى عرش سلفه فى قصيدة انتزع بها هذا العرش ولم يقو على منافسته يومئذ أحد . قال الأخطل:

فسدرة المنتهى أعلى منابره أشعة الوحى شعراً من مناثره وربة النثر قامت من مياسره وأرسلتها بديلا من سستائره ورهط جبريل يجبو في مقاصره لما أهل لهم سيجعاً لطائره هذا هوى الشرق، هذاضوءناظره عقداً من الحب، سلك من خواطره وكان في تاجها أغلى جواهره

قف فى ربى الخلدواهتف باسم شاعره وامسح جبينك بالركن الذى انبلجت الحقد الشعر قامت من ميامنه والحور قصت شذوراً من غدا ثرها أسراب مريم تلهو فى خائله وللهدون ، بنو هومير ، ما تركوا قال الملائك : من هذا الفيل لهم هذا الذى نظم الأرواح فا نتظمت هذا الذى رفع الأهرام فى أدب

#### and the second

خليل مطران

شاعِ الأقط الالعربية

سررت في العمر مره وكنت أنت المسسره کانت حماتی روضهها وكنت في الروض نضره وكان غصناً شـــابي وكنت في الغصب زهره وكان فكرى سمساء وكاذ حيسك فجسره وكان حسنسك بوحى إلى يراعي سـر"ه وكان لحظك يهدى إلى سحدره وكان تغسرك يمسل على سماعي دره وكان طبيمك يهسدي إلى ثنام وكنت للسروح روحسآ قد كان هذا ولكــن مضى وأخسلف حسره . فيست لا شيء إلا حالين : ذكري وعيره

«كان» . . . هو عنوان هذه القصيدة التي تسيل رقة وموسيتي وألماً وحسرة على حبيبة راحلة .

كان ذلك في سنة ١٨٩٧

وكان الشاعر خليل مطزان ، وهويومئذ شاب فى الخامسة والعشرين من عمره ، يروح عن نفسه فى أحد متنزهات القاهرة ، حين ساق القدر إلى طريقه نحلة . . . نحلة صغيرة . . . بدلت تاريخ حياته ، وجعلت بقية عمره حبثًا وشعراً ودموعًا وذكريات . . .! لقد وقعت النحلة على فتاة كانت تمشى فى المتنزه . فلسعتها ، فتلوت الفتاة من ألم اللسعة ، فتأود قلب الشاعر الشاب خليل مطران وحقد على النحلة ، وهم يطير خلفها ليصرعها انتقاماً للحسناء . وضحكت الحسناء . ثم عطفت عليه بنظرة داعية ، وتحدثا ، وطال الحديث .

ونظم مطران يومئذ مطلع ملحمته الكبرى ، حكاية عاشقين ، :

ومرت الأيام ، والحب يكبر وينمو ، ومطران يطلع على الناس كل يوم بقصيدة تذوب وجداً ، وهو مع كل هذا جد حريص على أن يكتم عن الناس اسم محبوبته ، فيبتدع لها في كل قصيدة اسماً جديداً ، فهي مرة ليلي ومرة هند . . . ومرة سعاد .

وهي تسألهِ في ذلك مسريبة متشككة ، فيقول لها :

يامنى القلب ونورالعين مذكنت وكنت لمأشأ أذيعلم الناس بما صنت وصنت الناساء لكن المسمى هو أنت الديلاي وهندي وسعادي من ظننت تكثر الأسهاء لكن المسمى هو أنت

ويطرأ على قصتهما ما يطرأ على قصص الحب المسرحية من انفعالات وتطورات وأحداث . . إلى أن تنهى القصة بمرض محبوبته بداء عضال ، وتصعد روحها إلى بارم ، وتبرك وراءها شاعراً يقسم بحبها أن لن تكون في حياته امرأة بعدها . . .

ويبرُّ الخليل بقسمه ، ويعيش أعزب إلى آخر يوم من حياته ،

لاینساها ، ولاینسی أن ینتزع من أعماق قلبه فی كل عام قصیدة ینظمها فی ذكری وفاتها .

ومن هذه « الحوليات » قصيدة «كان » التي بدأت بها الحديث.

. . .

من أين جاء هذا الشاعر ؟

كانو يسمونه شاعر القطرين . أى مصر ولبنان. و بعد وفاة شوقى وحافظ لقبوه بشاعر الأقطار العربية .

وفى الحق أنه ينسبه خليق بهذا اللقب ، فأسرته تتفرع من الأزد الذين كانوا يسكنون فى الأزمنة البعيدة أرض اليمن ، ثم نزحوا إلى الحجاز، وهبطوا عند نبع غسان ، فسموا بالغساسنة .

ثم رحلوا إلى بلاد الشام حيث استقروا واعتنقوا المسيحية .

و إلى هنا نرى أن مطران يمنى حجازى شامى ، والشام يومئذ تشمل سوريا ولبنان قبل أن يبتدع الاستعمار الحدود بينهما، فهو على هذا يمنى حجازى سورى لبنانى .

ئم هو بعد ذلك مصرى ، فقد قضى جل حياته فى مصر يشارك فى أحداثها ، و يجاهد مع مجاهديها ، و يتغنى بنيلها وأهرامها وأمجادها . وهكذا أقول إنه أصدق شعراء العرب تمثيلاً للقومية العربية .

وفي مصر ، اشتغل الحليل بالصحافة .

و بدأت السلطات تطارد الأقلام الحرة ، وتحارب الصحافة بسيف قانون جائر للمطبوعات، فنظم الحليل أبياتاً مخللة لم تزل تروى فى كل جيل كلما ألمت بالصحافة محنة من محن الرأى.

قال يخاطب الحاكمين :

شردوا أخيارها برًّا و بحسراً واقتلوا أحرارها حسرًّا فحسرًّا إغسا الصالح يبقى صالحاً تخر الدهسر ويبقى الشر شرًّا كسروا الأقلام، هل تكسيرها يمنع الأيدى أن تنقش صحراً؟ اقطعوا الأيدى هل تكسيرها يمنع الأعسين أن تنظر شذرا ؟ أطفئوا الأعين هل إطفاؤها يمنع الأنفاس أن تصعد زفرى ؟ أخدوا الأنفاس، هذا جهد كم وبه منجاتنا منكم . فشكرا ! وكان رئيس الوزراء يومئذ مصطفى فهمى ، ربيب الإنجليز ، فتوعد مطران بالنبي ، فلم يهتز وكتب هذه الأبيات وعنوانها «مقاطعة » .

أنا الأخساف والأأرجيّ فرسى مؤهبة وسرجي فإذا نبسا بى من بر فالمطيسة بطن لسّج الأقول غسير الحسق لى قول وهذا النسج نهجي الوعسد والإيمساد مسا كانا لدى طريست فلج

كانت مدرسة الحليل في الشعر غير مدرسة شرقي وحافظ. . .

صحيح أنه بدأ مقلداً ، وصحيح أنه حاكى شعراء زمانه في أغراض الشعر الشائعة في ذلك العصر ، من مديح ورثاء وإخوانيات . ولكنه

حيما نضبجت شاعريته ، كان قد استقر على مدرسة جديدة يومئذ فى الأدب العربى ، هى المدرسة الرومانسية التى ألقت بها إليه ثقافته الفرنسية . ويرزت لأول مرة فى جيله وحدة القصيد فى الشعر العربى .

وكان شوقى يحفل أول ما يحفل بللوسيقى ، وحافظ باللفظ الرنان،أما مطرانفبالحيال الجديد،وإن ضاعت معه الموسيقىالأخاذة أو اللفظةالرنانة.

وأثرت مدرسته الجديدة فى الكثيرين من شعراء مصر فى عصره، وفى طليعتهم إبراهيم ناجى وعلى محمود طه وأبو شادى وغيرهم، كما أثرت فى شعراء المهجر جميعاً، وإنكان أولئك وهؤلاء قد حرصوا على الإفادة من مدرسة مطران، دون أن يفرطوا فى موسيق الشعر.

أما نظرية مطران في الشعر فأدعه بنفسه يحدثكم عنها :

و استقلت لى طريقة فى كيف ينبغى أن يكون الشعر ، فشرعت أنظمه لترضية نفسى حيث أتخلى ، أو لتربية قومى عند وقوع الحوادث الجلتى ، متابعاً عرب الجاهلية فى مجاراة الضمير على هواه ومراعاة الوجدان على مشهاه ، موافقاً زمانى فيا يقتضيه من الجرأة على الألفاظ والتراكيب، لا أخشى استخدامها أحياناً على غير المألوف من الاستعارات والمطروق من الأساليب .

 وقال بعض المتعنين الحامدين ، من المتنطعين الناقدين ، إن هذا شعر عصرى ، وهمّوا بالابتسام . فيا هؤلاء ، نعم هذا شعر عصرى ، وفخرى أنه عصرى ، وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر ». و بعد هذا .. أسوق رأى الأستاذ العميد فى شعر مطران . قال الدكتور طه حسين موجهاً خطابه إلى مطران :

و إنك زعيم الشعر العربي المعاصر ، وأستاذ الشعراء العرب المعاصرين .
 و أنت حميت حافظاً من أن يسرف في المحافظة حتى يصبح شعره
 كحديث النائمين .

« وأنت حميت شوقيًّا من أن يسرف فى التجديدحتى يصبح شعره كهذيان المحمومين » .

وقال الدكتور محمد حسين هيكل :

ه عاش مطران للحاضر في الحاضر، وجذب جيله ليجعله حاضراً
 كذلك .

فشعره وأسلوبه وتفكيره كلها حياة ، جلت فيها الذكرى، وعظمت فيها الحيوية .

« ولهذا تراهم حين يتحدثون عن مطران ، يتحدثون عن الشعر والتجديد فيه ».





## الت عرالت وى رشيد سليم الخورى

إنه لم يولد في «البربارة».. يل ارتدى هناك قميصه الرابي فانتسب إليها ولكنه ولدمع الزلازل في الجبال ومع الزلازل في الجبال ومع السلام في الفجسر ومع البلابل في الجنسان ومع البلابل في الجنسان ومع البلابل في الجنسان ومع الجمال في نشوة نيسان ولد مع الأسطورة في عبقر ومع الرقى في ومضة الروح ومع الرقى في ومضة الروح ومع الرقى في ومضة الروح

ولد مع الدمع الأخرس اللاعب فى غصة اليتيم ، وزفرة المنكوب . وعثرة الكريم ، وكربة المظلوم .

ولد الشاعر القروى مع أمته فى شروقها وغروبها ، ومدها وجزرها، . وخمرها وخلّها .

. .

بهذه الصورة الرائعة من البيان ؛ وصف أحد أدباء المهجر الأمريكى ميلاد قديس القومية العربية ، الشاعر رشيد سليم الحورى ، الذى عرفه قراء الأدب فى هذا الجبل باسم الشاعر القروى .

ولكن. . لماذا نسميه قديس القومية العربية ؟

لأنه غنى ، برغم أنه عاش جل عره ، أو كله ، لايملك زاد يومه ا ولأنه فدأنى برغم أنهم رموه بالخيانة ! ولأنه شاعر خالد . . . ولو أنهم أرادوا له ولشعره الفناء ! ولأنه قديس . . . ولو أنهم اتهموه بالزندقة والإلحاد !

ولكى نصل إلى موطن الحقيقة من قوله وقول خصومه ، ينيغى لنا أن نعرف قصة هذا الشاعر .

. . .

ولد فى عام ١٨٨٧ فى ضيعة صغيرة فى لبنان ، اسمها البربارة . وأخذ نصيبه اليسير من العلم، ثم اشتغل بالتدريس إلى أن مات أبوه ، ولم يخلف له إلا مسئوليات ثقيلة ، وديوناً أثقل .

وسمع الشاعر بقصة الذهب المنثور على أرض أمريكا الذى نزح إليه آلاف من بنى قومه من قبل، بجمعون منه ما يجمعون دون أن ينهى حى أصبح منهم السراة وأصحاب الملايين فنزح بأسرته إلى هناك.

کان هذا عام ۱۹۱۳.

وهناك واجهته قصة الذهب المر .

إن عليه أن يبدأ كما بدءوا جميعاً .

عليه أن يحمل على ظهره ١ الكشة ١ . . . . أى ١ الخرج ١ . . . الله عنه، وأنا أحدثكم الخرج التقيل المصنوع من الزنك ، الذى حدثتكم عنه، وأنا أحدثكم عن إلياس فرحات . . . يضع به ما يشاء من جوارب أو أربطة عنق أو أوراق وأقلام ومساطر . . . إلى غير ذلك . . . . ويطوف به فى الطرقات ، و يتنقل به بين البلدان ، يقرع الأبواب منادياً على بضاعته وكان رشيد في تجواله هذا يحمل العود إلى جانب الكشة .

وهنا يجب أن أذكر أن شاعرنا كان طروباً ، حسن الصوت ، حلو الإيقاع ، يعشق الموسيتي ويحسن العزف على العود ، ويطيب له أن يلحن وينظم الشعر ويغنيه .

وكان إلى جانب ذلك قد برع فى صناعة أربطة العنق، وملأ بها وبغيرها كشته ، وجعلها تجارته .

• • •

وأدعه بعد ذلك يروى بنفسه بقية القصة :

ومربوطاً بسيور عختلف السلع ، ومربوطاً بسيور جلدية إلى كتنى ، وضربت فى ولايات أمريكا متعرضاً لأقسى مشقات الحر والسيول الطامية .

العتابا حتى على العابا على العابا على العابا على العابا على على الغيث المدرار .

ه ثم اشتدت الأزمة التجارية أثناء الحرب، وكثر العمال العاطاون حتى ملاً المتشردون طرقات العاصمة ، فعمدت الحكومة إلى قيد أسيائهم وإيوائهم فى باحات المخافر (أقسام البوليس) يؤمونها كل مساء ، ويلقون بأجسادهم المهوكة على حبال مشدودة بين حيطانها .

« فإذا أصبح الصباح ، حل الموكلون بهم أطراف الحبال ، فسقطوا على وجوههم ، ثم خرجوا يهيمون .

« وقد طال سعيي شهوراً في تلك الأثناء، ولم أجد مرتزقاً ،
 حتى استحكمت حلقاتها ، وفرغ آخر فلس من همياني ، ولكن . .

ه فى تلك الليلة بالذات (أى فى الليلة التى لم يكن بها بد من أن ينضم الشاعر إلى قطيع الصعاليك لينام على حبل المخفر) قيض الله لىأحد هواة العود ، فشرعت فى تعليمه مستلفاً أجرتى .. ثم تكاثر زملاؤه فاطمأننت إلى العيش. .

تلك فترة من حياة الشاعر. . . اشتغل فيها بتعليم العود ، ثم بتعليم اللغة العربية . . ثم عاد إلى التجارة . . . ثم . . . أفلس . . . وعاش طول حياته عيش الكفاف ، إلى أن عاد إلى وطنه الأول في سنة ١٩٥٩ .

. . .

وقبل أن زروى قصة عودته ، نعود إلى قصة نصف القرن الذى عاشه في المهجر الأمريكي ، من زاوية غير زاوية العيش.

كان كل هم بني قومه هناك أن يجمعوا الذهب . . .

أما هو، فإنه لميمد يده إلى ذلك الذهب، ولم يجعله همَّا من هموم حياته .

كان كل همه أن يستنفر قومه للجهاد من أجل تحرير الوطن العربي وإعلاء شأن القومية العربية .

وقد كانت.هذه اللحوة ــ التى يؤمن بها اليوم كل عربي ــ كانت يومئذ حلماً أقرب إلى الخرافة .

ولكن صاحبنا حمل رسالها ، وراح يبشر بها فى كل مكان ، فلم يكن يسمع بحفل وطنى إلاطرح كشته أرضاً ، وسار إلى الحفل ، واعتلى منبره يدعو للقومية العربية .

يقول الشاعر: «كنت أنقطع عن التجوال شهراً كاملا، مضحياً بأجرتى، ومنفقاً من جيبى، لأنظم قصيدة طلب منى إلقاؤها فىحفلة وطنية. ويشهد الله أننى ما دعيت إلى الكلام فى مناسبة إلا وسخرتها للغرض الذى استبد بمشاعرى، أو فاجأت الحفل بموضوع من عندى للغرض ذاته ه.

وحاربوه ....

حاربه الخونة والمتعصبون الضالون حرباً لاهوادة فيها . . .

إنهم الذين أنكروا عروبة لبنان منذ أجيال ووهبوه لفرنسا ، وزعموه ضيعة فرنسية .

وأرادوا أن يشتروا ضمير الشاعر ، ولعل بعض مقدرى أدبه قد م أحسن النية فانضم إليهم فى الدعوة إلى اكتتاب لشراء بيت للشاعر القروى ، خليق بمكانته .

ولكن الشاعر اعتدرمن عدم قبول هذه الهدية ، وأصر على الاعتدار ، وقال في رسالة لصاحب له : « ألاترى أن المكافأة المادية تنزل الشاعر عن عرش إبائه، وتحدّ من حرية قلمه، وتحفّت صوته وتفقده سحره وتأثيره؟ فأنا أشعر أنى أخسر بهذه الحملة أكثر مما أربح ، ولو شيدوا لى القصور . إن أمنيثي بعد هذه السن التي بلغتها ، هي قبر في وطني ، القصور في غربتي ، فالكفاف يكفيني ، والغني لايغنيتي » .

هكذا عاش الشاعرالقروى فى غريته قرابة نصف قرن ، وكل هم

الذين حوله أن يجمعوا الذهب وكل همه أن يحرك قاوبهم نحو الوطن ، وأحلى أمانيه أن يدفن في تراب الوطن .

عد شاعرنا قصة هذا القصر الذي أرادوا أن يهبوه إياه ، مساساً بضميره فساءت حالته النفسية ، واعتلت صحته ، إلى حد أنه ارتمى علي سرير بأحد المستشفيات ، حيث أنفق كل ماكان معه ، ثم لم يجد بداً من بيع ما لديه . . عوده وكتبه . . ليشترى ثمن الدواء .

الرجل الذي رفض القصر. . بات لا يجد ثمن الدواء ! ولكي تعليم مكانة هذا العود عنده، اسمعه ينشد هذه الأبيات :

أين يا هند أنت أين ؟ لترى . . . آه لو تريسن شبحاً باسط اليدين يسكب اللمع جدولين أحمرين كل حظى من الوجود قلم ناحل . . وعود منهما . . والورى هجود أسلى ببلين

ونعود إلى المعركة . . .

لقيت البلاد العربية ألواناً صارخة من الظلم على يد الدولة العُمانية . فلما قامت الثورة العربية سنة ١٩١٧ ، قرر الشاعر القروى أن يذهب إلى الميدان و يستشهد في معركة التحرير.. وقال :

لنا وطن هلا سمعنا نحيبه وهلا رأينا ضعفه وشحوبه حلث ضليبي قاصداً أرض موعدى فن شاء فليحمل ورائى صليبه ولكن أصحابه أبوا عليه الذهاب ، ولم يمكنوه من الرحيل . .

ولعلك عرفت من البيت الأخير أنه شاعر مسيحى مخلص لعقيدته ، يشبه نفسه بالمسيح عليه السلام فى سيره لدعوته وهو يحمل الصليب ويدعو الناس إلى الزحف المقدس.

أذكر هذا؛ ثم اعلم بعد هذا أن الدولة العثمانية دالت بعد الحرب العالمية الأولى ، وجاء الاستعمار الفرنسي يجثم على صدر سوريا ولبنان. وهنا . . يهب الشاعر مرة أخرى ثاثراً على الاستعمار الجديد يصرخ في وجه قومه أن يأخذوا بدءوة محمد في الجهاد ، ويتركوا دعوة المسيح إلى الحبة والسلام حتى يحرروا أرض الوطن من رجس فرنسا :

إذا حاولت رفع الظلم فاضرب بسيف محمد واهجر يسوعا فيا حملا وديعا فيا حملا وديعا غضبت للدات طوق حين بيعت ولم تغضب لشعبك حين بيعا ألا أنزلت إنجيلا جديداً يعلمنا إباء لاخنوعا قال القروى هذا ، فثار عليه المتعصبون والمهمو بالزندقة والإلحاد .

ولكن القروى لم يرتد عن دعوته . بل مضى يضاعف حملته للجهاد، ويبعث الصيحة التي تدعو إلى تحرير جميع الشعوب العربية، ويقول في عبارة جريئة إن الكفر الذي يوحد هذه الأمة ،خير من الإيمان الذي يفرقها.

بلادك قدّمها على كل ملة ومن أجلهاأفطر ومن أجلهاصم فهل صار صعباً صوم مليون مسلم؟ وسير وا بجثماني على دين، برهم، وأهلا وسهلا بعده بجهسم

لقد صام هندی فروع دولة هبوني عبدأ يجعل العرب أمة سلام على كفر يوحد بيننا وقد لمِّي شعر القروي صداه في لبنان رومثذ.

وهذه قصة يرويها أديب لبناني . واسمه « محمد قرعلي » نشأ باثع صحف ، ثم قرأ وكتب وأصبح من الأعلام.

يقول إن الشاعر القروى في عهد الاحتلال الفرنسي كان يرسل قصائله الوطنية إلى أصلقائه ، فيطبعونها سرًّا في نشرات ، ويعطونه إياها - قرعلي - ليبيعها فيا يبيع من الصحف : في غفلة عن عيون الشرطة ، وكان يبيع أقصوصة الشعر بخمسة قروش.

وذات يوم جاءت قصيدة نارية للشاعر القروى ، تتناول موضوع الساعة يومثذ في لبنان ، وهو المجلس النيابي الزائف الذي أقامه المندوب السام الفرنسي هناك ، ومنها :

وأذل منه رئيسه والمجلس جاءالمفوض بالعليق فحمحموا وثنى عليهم بالشكيم فأسلسوا

لاتسلقوهم بالكلام فإنهم جلسوا وهل نخبوا لكيلا يجلسوا ؟ فى كل كرسى تسند نائب متكلف أعمى أصم أخرس وصادفت هذه القصيدة هوى كبيراً فى نفوس الشعب، وباع منها « القرعلى » آلاف النسخ .

على هذا العهد عاد القروى من غربته ، خاوى الوفاض، إلا من ثروة الشعر وكنز الوطنية .

و بقى فى الشام حتى زالت محنة شمعون، فأرسل إليه البطريرك المعوشى ، يسأله أن يعود إلى لبنان ، فعاد، ولايزال يعيش حيث ولد فى البر بارة .



## ش*تاعرالبحث الأبيض* صالح شرنوبي

هذا شاعر موهوب من أبناء الموت . . .

كانت حياته في كل حركاتها وسكناتها نشير إلى أنه لابد لاحق بهؤلاء الموهو بين من شعراء الشباب ، الذين قضوا في عمر الزهور .

هو كالهمشرى ، والشابى ، وفوزى المعلوف ، وغيرهم ممن احترقوا حسًا وعاطفة ، وزأوا أن اللغيا لاتتسع لأمانيهم ، وأنهم خلقوا ليعيشوا في عالم من النور لا من التراب .

. . .

فى صببحة يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩٥١ ، صحوت على برقية مشتومة من آل شرنوبي ببلطيم هذا نصها :

الأستاذ صالح على شرنوني توفي إثر حادث أليم، البقاء في
 حياتكم».

ولست بواصف وقع الخبر على نفسى ، ولكن حسبى أن أذكر أن العرف قد جرى على أن أهل الراحل هم الذين يتلقون العزاء فيه من أصحابه . أما هذا الشاعر ، فإن أهله قد رأوا من حق الوفاء أن يسبقوا إلى عزائى فيه قبل أن أعزيهم . فإنهم فقدوه ولداً عزيزاً ، أما أنا فقد فقدته شاعراً كان لى فخر الكشف عن مواهبه ورعايته وتوجيهه ، وتهيئة أكثر من سبب من أسباب الاستقرار لنفسه الى لم تكن تحب أن تستقر .

في سنة ١٩٤٦ ، كنت أقدم في الإذاعة المصرية برنامجاً عنوانه ( براعم الشعر ».

وكانت غايتي من هذا البرنامج أن أكشف عن جيل من الشعراء الناشئين المغمورين، الذين لم تواتهم فرصة الحروج إلى النور، عسى أن يكون في هذا التشجيع لهم ما يعرف الناس بهم ويزكي مواهبهم، على إذا آن لنا \_ نحن الحضرمين \_ أن نسريح، خلفنا وراءنا جيلا جديداً من الشعراء يملأ الفراغ ويؤمن بأننا قد أدينا نحوه بعض الواجب الذي لم يؤده سابقونا من الشعراء.

وقد تلقیت لحساب هذا البرنامج مئات من القصائد ، من جمیع ربوع المشرق والمغرب العربیین ، ولکنی لم أجد فیها جمیعاً هذا البریق الذی وجدته فی قصیدة أو اثنتین ، کان صاحبهما صالح شرنوبی .

ودعوته على غير معرفة ، فإذا هو شاب فى نحو الثانية والعشرين من عمره يومثذ ( وهو من مواليد ٢٦ مايو سنة ١٩٢٤) طويل القامة رشيقها ، أسود العينين ، عربى السهات ، فيه أمثولة ظاهرة من جمال الرجولة ، وفى نظرته بريق وحدة ، وفى ابتسامته عدوبة ودماثة

كان يومثد شيخاً معمماً ، وكان طالباً بالسنة البائية بالقسم الثانوى من الأزهر الشريف . ولكنه كان ثائراً على عامته وجبته وقفطانه ، ثاثراً على المناهج التي يتلقاها فى الأزهر ، بل ثائراً على الحياة ، وعلى نفسه ، وعلى كل شيء .

وبدأت علاج نفسه بأن حرضته على استكمال دراسته ، وما هى إلا أيام حتى نال نانوية الأزهر . ويومئذ نصحت له بخلع العمامة ، فبدا فى زيه الجديد فتى أنيقاً ، وسعدت روحه أيما سعادة بهذا التغير . ثم كانت شدة بينى وبينه ، إذ أراد أن يهجر الدرس وللدرسة ، وأردت له أن يتم تعليمه العالى ، وأخيراً ، استطعت أن أغلبه ، فالتحق بكلية دار العلوم .

ولكن الجولة الأخيرة كانت له ، فقد سمَّم الشروح والمتون والكتب الصفراء ، وهجر دار العلوم وراح يطرق الأبواب باحثاً عن عمل ، حتى وجده فى مدرسة فرنسية للبنات ، يعلمهن اللغة العربية .

. . .

ولكنه كان شاعر الغزل، فما كان ممكناً له أن يستمر طويلا فى مدرسة للبنات بغير حماقة ، ولاكان له أن يحتمل صلف الناظرة فاستقال.

وأوصيت به عند الصديق الأديب الأستاذ محمد سعيد العريان - رحمه الله - بعد أن تلوت عليه جانباً من شعره، فأعجب به أيما إعجاب، وسألنى أن أبعث به إليه فى وزارة المعارف (يومئذ).

وذهب الشاعر الشاب إنى وزارة المعارف ، ولكن كلمة جافة

من أحد الحراس كانت كفيلة بأن يقسم هذا الشاعر العزيز النفس بألا يطرق باب هذه الوزارة ولو هلك من الجوع .

وكانت نهاية المطاف أن التحق بأسرة جريدة الأهرام ، في وظيفة متواضعة بقسم التصحيح ، ولكنه رضى بها ، وظل فيها إلى أن لقى وجه ربه ، في حادث أليم ، دهمه فيه قطار فمات تحت عجلاته في بلده . . بلطم .

تلك هي حياته الدراسية والعملية.

أما حياته الخاصة الشاعرة ، فقد كان عندما عرفته يوشك أن ينتمى إلى بعض الأحزاب التي كانت قائمة في ذلك العهد ، ويكتب الشعر في مدح زعماء هذا الحزب ، ويطرى زيداً وعراً من الساسة ، فقلت له : يا صاحبي ، إن الحزبية ليست ميداناً للشعر الحالص ، فاهمجر ما أنت فيه واكتب الشعر للشعر وحده ، وإذا شئت ، فاكتب لوجه الوطن لا لوجه الأحزاب .

سمع يومثذ مفالتي ، وأطاع ، وظل على عهده حتى خطفه الموت.

قلت إنى احتفيت بشعره منذ أن قرأت له أول قصيدة، فقدمته فى الإذاعة الجصرية ، ثم أوصيت به لدى الإذاعة البريطانية، وإذاعة الشرق الأدنى ، ووجهته قليلا إلى نظم الأغنية العربية وألعامية، لتكون

عوناً له على العيش ، فنجح ، وكانت له حتى فى أغانيه الدارجة فلسفة جميلة ، ولايزال المستمعون إلى إذاعة القاهرة يذكرون له تلك الأغنية الحماية التي مطلعها :

ياللى عرفت والحيده قول والى معنداها إيه ولا أحسب أن شاعراً من شعراء الأغانى الدارجة قد اجراً على خوض هذا الموضوع البتة . أما شعره ، فحسبى منه أن أثبت هنا قصيدة رائعة له فى وصف الممثل ، وأعتقد أنها أبدع ما قيل فى وصف الممثل ، وأعتقد أنها أبدع ما قيل فى وصف الممثل فى الآداب العالمية .

خالد الذات وهو كالناس فان فهو فوق النهى ودون العيسان أبدى الظلال والألسوان فهو كل الأنام في إنسان على المقام والصولحان وأضنته لوعسة الحرمان قدسي مطهسر صمداني وات ، مريد إلاعلى الشيطان وحده ناطق بأليف لسان واختلاجاتجسمه الأفعواني واختلاجاتجسمه الأفعواني الشقوله الشقتان

هائم الروح بالهـوى والأمانى فيه ما فى الحياة من مشكلات لوحة أثبت الزمـان عليهـا هو كالطينة الـتى نحن منها ملك حيبا يشاء له الفـن أوحقير عريان مزقه الحوع وإذا ما أرادفهومــلاك أوغوى تضج منــه السها كل حلى له لسان ، وهـذا كل ولقد يعجز البيان إذا عـب بانفعالات وجهـه الإنسانى ويديه . . بعينيــ بيديه . . بعينيــ بيديه . . بعينيــ بيديه . . بعينيــ بيديه من مشكل المنان المنان المنان من مهمينــ بيديه . . بعينيــ بيديه من مشكل المنان الم

عبقری أو معجز ذو افتئان و إلى المله تني . ودعه في وشاني كوا لبكائي. أوفاهزجوا بالأغاني ب محب أو كبرداء أنساني صيوات وفلسفات معسائي أبدأ بالوجود طوا فتسسان والمبتسان شيطسانتسان وتنام الحياة إذ تخبــــوان يتلاشى السكون في الهذيسان ان في قلبه محيط الزمدان ر بشق بسنخره الخافقسان لمة تهفو إلى خسيدود الحسان بح أنت الخلي عبد الغواني وهسدو نيرونهسا بلانسيران شق يشكو هواه للشطآن وبجنبيه تسورة السبركان فهوكون كهذه الأكسهان رى إذا مثل التبي وهوجــان قد " عثلت حسالم الفنسان

فهو باك أوضاحك ، ويلبد وإذا حدثت بداه ، فسرحي واعذروني . أو أنقذوني . أو اد وإذا حاجباه شالا فإعجما وبعينيه ، ويح عينيه ، دنيا فهما شعلتان وهـّاجتــان وهمساطفلتان عسديبيدتسان يخفق الكسون حين تأتلقان وعلى ثغره . . وفي شفتهــــه شفتاه أو شاطئـــا البحر ســـّــ إن يُقلبهما فما أعجب الساخ أو يدورهما فما أظمأ القبي أو يحدث عن الغرام فقد تص هوإن ثار فالبسطة رومسا وإذا ما اطمأن فالجدول العا ربما تلتقيــه ينســاب بشرآ ليت من محسمه دونه عرفوه حيرتى فيهمثل حيرته الكب أنا ما إن وصفته ، غير أني كانت حياة هذا الشاعر حافلة بالحب . . . والتسامح. . . والإنسانية كان لايفتأ يتبرم بالححود الذى عاش فى بيئته إذ هو طالب بالأزهر. ويستنكر التزمت الذى يغمر أكثر رجال الدين .

وكان متحرراً إلى أبعد الحدود ، وفى كل ميدان من ميادين الحياة والفكر .

وكان يلتى كثيراً من المحاضرات الأدبية فى جمعية أصدقاء الكتاب المقدس ، ويصادق كثيراً من القساوسة ، وكم من مرة رأيته وهو شيخ معمم يتأبط ذراع قسيس ويسير به فى أحياء الأزهر والحسين يتلو عليه شعره ، والقسيس مقتون بشخصيته وحديثه وشعره .

ولست أنسى ما حييت لهدا الشاعر ، كلما قرأتها في جمع بكيت واستبكيت ، قصيدة عنوانها ، أختى ، قالها في وصف أخت له ، اسمها هيام ، جميلة ، ولكنها يلهاء .

يقول في مطلعها :

أُخَى، قصيدة شاعر الغزل أختى، تميمة ساحر الخبل أختى معيمة ساحر الخبل أختى هيام ، وأنت من أملى لأنا الحزين عنيك يا أختى ثم يصف لوعة أمه وأمها حين تتلفت فتجد بنات الحى قد سعدن في بيوت أزواجهن ، إلا هي ، هيام ، لا تزال إلى جوارها بلا زوج ولا بيت ولاأمل في المستقبل . . يقول :

وتقول أى حين تلقداك ياليت قلبي ماتمنداك أوليت مهدك كان مثواك لك فى بنات الحى أتراب عرسامهن لهن أحباب فأقول والمقدور غلاب: الحظ خانك أنت يا أخيى ويسهر الساهرون فى سامر البيت ، فإذا حديثهم سخرية بهذه الأخت البلهاء ، وضحك من بلاهما . فإذا ناداها الكرى قامت لتنام ، فقال الساهرون : لقد نامت تسليننا .

أما الشاعر ، فينظر إليها فى حسرة وإشفاق ، ويقول بل نامت مأساتنا . . بقول :

وإذا الكرى نادى الحليينا فأجبته وهجرت نادينا قالوا نأى من كان يسلينا فأقول بل من كان يبكينا ويحيل أحناناً كقاسينا ويثير فى نفسى البراكينا وأظل أبخس منك يا أختى

قاس عليك أنا فلا تغضى إما قسوتُ فليس عن بُغض أنا في السهاء وأنت في الأرض

أنا في سهاء من خيالاتي أحيا بفكرى وانفعالاتي فانأى بأرضك عــنسمواتي تنأ القساوة عنك يا أخـــي

هذه لمحة عن حياة هذا الشاعر الذى نشأ بين تلك الأكواخ الشاعرية الحميلة المرامية على شاطئ البحر المتوسط عند بلطيم ، فى شالى مصر ، عبشة كلها شعر وخيال وإنسانية وعاطفية وبؤس وذهول.

ومات عند ذلك الشاطئ قبل أن ينجاوز الخامسة والعشرين

## الت عرالعت لاق

عباس محمود العقاد

كان يقرأ كثيراً . . .

وكان يقرأ فى السياسة ، فيجد مصير الوطن ضائعاً بين الأحزاب والاستعمار ضياعاً يشبه اليأس . . . وكان يقرأ فى الدين ، فيشد ما الشك إلى دائرته بعنف . وهو يقول فى وصف هذا الشعور — فيا بعد — إنه يكنى أن يفقد الإنسان عقيدته ، ليفقد إيمانه بالحياة .

وفجأته قصة ذلك الحب اليائس فى تلك الآونة ، فقرر أن يضع نهاية لحياته . . ودخل غرفته ، وأعد السم ، ثم راح يتطلع إلى صورة أمه ليتزود منها بنظرة الوداع ، فما لبث أن ظفر من عينيها بنظرة ردته عن فعاد يتشبث بالحياة ، ويستشعر لنسها .

وخرج العقاد من هذا الحدث فى حياته بأن المؤمن بالله هو وحده الذى يحس بقيمة الحياة ، لأن الحياة فى نظر الملحد ، تبدأ وتنتهى بنهاية الأفراد ، أما المؤمن ، فالحياة عنده قيمة سامية ، لأنها موضع رعاية الحالق .

أما المحاولة الثانية ، فكانت سنة ١٩٣٥ ، بعد أن اشتدت خصومته مع حزب الوفد ، وتعطلت الصحف التي كان يعمل بها ، فقاسى مرارة البطالة وحرقة العوز ، فآثر الانتحار على أن يقبل عوناً من أى إنسان . . . ومرة أخرى . . . رده الإيمان بالله إلى حب الحياة .

. . .

هل كان العقاد عدو المرأة، كما يقولون ؟ الذى أعلمه علم اليقين ، أنه ما من رجل أحب المرأة كما أحبها العقاد .. ولكنه أحبها أنثى . . . ولم يحب لها أن تكون أكثر من أنتى . . . . أحبها أن تكون امرأة . وأن يكون كل ما فيها امرأة . . .

وكانت الأديبة « مارى زيادة » ـ أو الآنسة مى. . . . كما لقبوها فى عصرها ــ أول حب فى حياته ، بعد حب الصبا الذى تحدثنا عنه . . على أنه كان حبًّا من طرف واحد . . . هو طرف العقاد طبعاً !

ولم يكن المقاد فريداً فى حبه المى على هذا المنوال، فقد أحبها جميع أدباء مصر وشعراً ها فى ذلك العصر ، على الوتيرة نفسها – وتيرة الطرف الواحد – كما أسلفنا القول فى حديثنا عن مطران، ومنهم أحمد لطنى السيد وأنطون الجميل وشبلى شميل وإسهاعيل صبرى . . . . وغيرهم .

و يحدثنا العقاد عن حبه « لمى » ، فيقول وقد سئل ... هل تتمنى أن تعود « مى » إلى الحياة ؟

- أتمنى . . . على أن تعود شابة . . .وأن تختار لها فى حياتها الثانية آمالا غير آمالها فى حياتها الأولى ، لأنها كانت ممن تبهرهن المظاهر . . . مظاهر الجاه والبأس ، حتى الأجوف منها ، مما لايتفق مم مواهبها الممتازة فى الروح والذهن .

وهو يصف هذه الحلة في « من عالل بيتين أغلب الظن أنه قالهما وقد غضت « مي، عنه الطرف ، لفقره يومئذ .

حسبنا منك أن نراك وإن كنت تميل الجفون للإغضاء وتجل الغنى ، وما الحسن إلا سلعة عند معشر الأغنياء وتأتى بعد هذا . . . سارة . . . أكبر حب في حياته . سارة ... التى كتب فيها يتيمته الوحيدة فى عالم الرواية ، ولا ينكر المقاد أن قصته مع سارة هى القصة الواردة فى الرواية .... وأن «همام» بطل الرواية هو العقاد نفسه .

و يحدثنا عن سارة فيقول :

- كانت أجمل من رأيت فى أيام فتنى وشغى بالجمال . كانت حزمة من الأعصاب تسمى امرأة ، استخرقها الأنوثة فليس فيها إلا أنوثة . . . ليست غواية الجسم عندها كجوع الحيوان يشبعه العلف ، ولكنها كرعدة الحمى وصرعة الفرس الجموح ، يتبعها النشاط والمواح كما يتبعها الإعياء والبكاء . . . لها فراسة نفاذة فى كل ما بين الجنسين من صلة . . . تفطن لما فى نفس المرأة لأنها امرأة ، وتفطن لما فى نفس المرأة وتفطن المرأة !

ويستطرد العقاد في اعترافه بحكاية « سارة » فيقول :

مكذا بدأت قصتنا عنيفة فائرة . كانت أنثى جميلة ... وكنت أن شي جميلة ... وكنت أن شابيًا عنيف الطبع قوى الإحساس بنفسى . كانت تزورني كل يوم جمعة ، في الساعة الحامسة مساء . وقبل حاول موعدها بربع ساعة ، كنت أطل عليها من ثقوب النافذة أترقب قدومها في الطريق ؛ فإذا احتوانا البيت ، كنا نقضى يوم الجمعة في خلوة كاملة . وكنا نقوم نحن الاثنين بالحدمة . كان يوم الجمعة هو يوم الحب في حياتي .

ويسرح العقاد قليلا ، ثم يمضى فيقول :

- وليوم الجمعة قصة ... فهو يوم الحب عند اليونان ، وكذلك مدلوله عند العرب. فهم يقولون عن يوم الجمعة إنه يوم العروبة – بفتح العين – وهي البنت اللعوب الجميلة .

ثم يتحدث « العقاد » في أسى عن نهاية قصته مع « سارة » .

- بدأت نهاية القصة بالشك . . . شككت فى حبها لى، فاستحال الوجد إلى فتور ، والشوق إلى ضجر . قام الشك فى نفسى على علامات وقرائن لم أقطع بها . . . حتى عهدت إلى صديق بمراقبتها ، وجاءنى منه الخبر اليقين ، فلم أملك إلا أن أقتل هذا الحب وأسير فى جنازته .

هذه قصة سارة . . . وهي قصة يغلب عليها الحس كما ترى . ومهما يكن من رأيي ورأيك فيها ، فلا شك أنها كانت أقوى من ألهم « العقاد » . . . ألهمته روايته الطويلة اليتيمة . وألهمته عشرات من خير قصائده . . قال فيها :

أيما لفظة جـــــرت تبتغى الزوج من فثه ليس بالجسم وحده وقال فيها وقد بدأت النار تهدأ :

وقال فيها وقد بدات النار عبدا : فرغت من الحب الذي يعقب الشكوى بذلت له نارى ثلاثين حجية وقال في نهاية القصة :

تلك التي كنت أغليها وأذكرها

من فم المــرأة امرأه والأخــلاء من فثه يعرف الجنس منشأه

فحبى من النعمىوليسمنالبلوى فلا نار بعداليوم ... أليوم للحلوي

صبحاً ومسياً وفي سر وإعلان

قد كنت أرحم نفسي من تذكرها اليوم أرحمها من فرط نسيانى و بعد سارة . . . هل تاب العقاد عن الحب ؟ . وهل حقد على المرأة ؟ أبدأ . . .

لقد سئل في هذا أكثر من مرة ، فكان جوابه : إن الأديب الذي يعيش بغير حب لايكون أديباً على الإطلاق ، لا لمجرد أنه لايحب بل لأنه لايحس .

وطالما استنكر « العقاد » قول من قالوا إنه لم يعد يستطيع أن يحب بعد « سارة » ، وكان يقول إن كل إنسان معرض للوقوع فى هوة الحب فى أى وقت، وفى أية سن ، ولو كانت بعد السبعين .

كل ما حدث ، أن رأيه فى الحب قد تغير ، كما تغير رأيه فى الحياة نفسها .

يقول العقاد : كنت أحب الحياة كعشيقة ، تخدعنى زينتها الصادقة وزينتها الكاذبة ، فأصبحت أحبها كزوجة ، أعرف عيوبها وتعرف عيوبي. لا أجهل ما تبديه من زينة ، وما تخفيه من قبح ودمامة .

إنه حب مبنى على الفهم .

وكذلك رأيه في الحب .

وفى حياة العقاد – بعد سارة – حب كبير . . . بطلته نجمة لامعة ، لا أحسب أن من حتى أن أميط اللئام عها، ولكن من حتى التاريخ عليها أن تميط هى اللئام عن قصبها مع العقاد يوماً ما . . . بكل ما وراء هذا اللئام من رسائل وقصائد وحكايات ، لأن قصبها مع العقاد جزء من تاريخه ، وتاريخه جزء من تاريخ الأدب في هذا الجيل.

مرة . . . نسجت له صداراً ( بلوفر ) في عيد ميلاده . . فنسج لها

قصيدة من أرق قصائده ، يقول فيها:

هنا ، هنا في جسوارك يكاد يلمس حسبي على المسودة ، حسبي في كل شكة إبسره وكل جسرة بسكره ؟ هنا ، هنا في جسوارك من الفسؤاد قسريب الى طيف غسريب ؟ على هسدى ناظسريك ما زلت في أصبعيسك

هنا مكان صدارك هنا ، هنا عند قسلبي هنا ، هنا عند قسلبي وقيه منك دليسل ألم أنل منك فسكره وكل عقدة خيسط هنا مسكان صدارك والقلب فيسه أسير هذا الصدار رقيب سليه ، هدل مر منه نسجته بيسديسك

أحيها العقاد حيًّا كبيرًا . . .

وعرفنا يومئذ ، وبعد يومئذ ، الكثير من أمر قصة الحب هذه ، ثم جاءنا من يؤكد لنا هذه القصة في مقدمة للديوان الجديد هما بعد البعد ، . . ويقول إن ما في هذا الديوان من شعر عاطني . . . . ويصور إلى حد كبير مشاعر الحب ونفحات

القلب وشعور الحب ونهاية ذلك الحب . مما يفهمه الفارى الليب بضمه إلى مثيله فى ديوان - أعاصير مغرب- فتخرج له صورة متكاملة لتلك المحبوبة السمراء ،

وطذه السمراء « لوحة » في حياة العقاد . .

قصة هذه اللوحة . أن الحبيبة السمواء بعد أن تملكت قلب العقاد، جاءته ذات يوم تقول له إنها قد تلقت عرضاً للاشتغال بالسيما .

وقاوم العقاد هذه الفكرة مقاومة جبارة ، لأنه ، كما يفعل كل عاشق كبير ، أراد أن يستأثر بها وحده ، لايشاركه فى المتعة بجمالها الأسمر أحد من الناس . . قائلالها :

سهاتك الحسناء ملكى أنسا وحدى ، أرى فيها خفايا الجمال إذا رأوها فاتهم نسورهسسا ولم يطيقوا منه غير الظسلال لو لم تكن ملكى ، لسا حرمت يوماً عليهم ، وهي سحر حلال وطالت متعة العقاد بها ، متعة روح وحس ، وسعد كما لم يمعد بعد مأساة سارة ، وراح يصف كل هذا في أبيات عنوانها لا سعادة الحب ، . . . وهي أبيات جرئة لم يكتب العقاد مثلها بصراحها سعادة في حاته :

وأحب مانى الحب، أنت سألنى عنه ، وأنى بالحواب لعسالم متجردان .. ويملكان سعادة لكليهما ، لا يحتويها العسالم يتمليان الصحوة الكبرى ، وقد سعدا بأسعد ما رآه الحسالم ولعلهما تناقشا فى حكاية السيها مرات ومرات . . . ولعله قال لها إنه لا يحب أن يكون جمالها متاعاً مشاعاً للجميع ، ولعلها قالت له وهي تحاوره ، إنه إذا كان يقصد الحلال والحرام ، فهل ما بينهما حلال ؟

ولعله أجابها بقوله: إن المرأة التي تهب نفسها لرجل واحد ، يستأثر بها وبالمتعة بها وحده بغير شريك، لا ترتكب أمراً إدًا ، بل هي – في عرفه – مصونة وممتنعة .

هذا ما نفهمه من هذه الأبيات ، وعنوانها « أجيبي » :

أجيبي يا بنية واستجيبي فما بخس المحاسن مستطاع وليس الحب مبتذلا ، إذا لم يكن في البذل تسليم مشاع أحبك مرتين ، إذا تــأتى متاع هواك، واتصل المتاع إذا التسليم عــزعلى محب سواى، فذاك صون وامتناع ولكن حلم السيما ظل يراود السمراء ويلح عليها ، حتى تغلب على حما للعقاد.

وعرف العقاد الأمر . . وجاءت تزوره بعدئذ ، فثار فى وجهها ثورة عارمة ، ولفظها إلى الحارخ ، وأغلق الباب وراءها وقلبه يتأرجح بين الأسى والأسف .

وأحدّت السمراء طريقها إلى الشاشة ، وتألقت عليها .

فهل هدأت ثائرة العقاد؟

هل نسيها . . أوراح يتعذب بها ؟

إن هذه الأبيات ، وعنوانها « بنت الفن » . . تكشف لنا أنه لم منسها ، وأنه راح يحاول أن ينتقم بالكلمة ، في عمرة شعوره بذلك اللون من الشعور الذى يسميه علماء النفس 1 الحب ـــ الكراهية 0 وهي أبيات مرة قاسية لاترحب بها أية مشتغلة بالفن :

> أى حجرة النوم أم قاعة العرض ومن تعرفين ؟ أمــام الستار . . وهل أنت نجم ، لأن النجوم أمور إذا ما احتواها الســـؤال فما تبرزين ومــا تســـترين ولم ينسها العقاد بسهولة . . . .

أم خلفه دائما أكسر ؟ فى ليلها أبسداً تسهسسر ؟ فالسائلسون بهما أخسبر بغيرشعماع لهم يظهسر!

. . جمهور فنك مستحضر؟

وراح يلتمس كل وسيلة للنسيان ، فكانت أنجح وسائله هي تلك « اللوحة » التي أشرت إليها إشارة عابرة .

طلب العقاد إلى صديقه الفنان المعروف صلاح طاهر أن يعينه على النسيان ، برمم لوحة كبيرة . . . تمثل « تورته » مزركشة فاخرة ، تحوى أجمل ما تحوى من الحلوى ، وقد هوم عليها الذباب وتكاثرت عليها الصراصير .

« التورتة » الجميلة ترمز إلى السمراء .

والذباب يرمز إلى الجو الذى ذهبت إليه . وأنجز صلاح طاهر اللوخة ، وقدمها للعقاد، الذى علقها فى غرفة نومه ، أمام مخدعه .

وبعد أيام ، وبهذه الوسيلة ، نسى العقاد . . ولكنه خشى أن يرفع اللوحة من حجرته فيعاوده الحنين إلى سمرائه ، فأبقى عليها فى غرفة نومه سنوات طويلة ، إلى أن أدركته رحمة الله . أحسبني أغريتك بالإيغال في شعر العقاد . يعد أن شددتك إليه بجانب الرقة العاطفية منه .

على أن هذه الرقة العاطفية ، التى تضع إبهامها على كل قصيدة من قصائد شاعر كناجى أو راى أو البهاء زهير أو عمر بن أبي ربيعة ، لاتضع إبهامها على الكثير من شعر العقاد ، الشاعر الذي عاش دائماً أكثر حياته - إلا فى فترات الحب منها - يفكر بقلبه ويحس بعقله .

وهذا هو سر إيمان العقاد بالشعر، وبتطور الشعر، فهو لا يستمرئ قول الكاتب الإنجليزى توماس بيكوك فى رسالته عن الشعر، إذ يقول:

و الشاعر في عصرنا هذا هو نصف همجي يعيش في عصر المدنية ، لأنه يقيم في الزمن الخالى ، ويرجع بخواطره وأفكاره وخوابخه وسوائحه إلى الأطوار الحمجية والعادات المهجورة والأساطير الأولى ، ويسير بدهنه كالسرطان زحفاً إلى الوراء . . . » .

لایستمرئ العقاد هذا الرأی الذی بنادی برجعیة الشعر ، ویؤثر علیه قول فیکتور هوجو فی کتابه عن شکسبیر إذیقول :

و ينادى كثير من الناس فى أيامنا هذه ــــ ولاسيا المضاربون وفقهاء القانون ــــ أن الشعر قد أدير زمانه . فما أغرب هذا القول ! . . . الشعر أ بر زمانه ؟ لكأن هؤلاء القوم يقولون إن الورد لم ينبت بعد ، وإن



الربيع قد أصعد آخر أنفاسه ، وإن الشمس كفت عن الشروق ، وإن في أخول في مروج الأرض فلاتصادف عندها فراشة طائرة ، وإن القمر لاينظر له ضياء بعد اليوم ، والبلبل لايغرد ، والأسد لايزبجر ، والنسر لا يحوم في الفضاء ، وإن تلال الألب والبرانس قد اندكت وخلا وجه الأرض من الكواعب القواتن والأيفاع الحسان . . .

و لكأنهم يقولون إنه لا أحد اليوم يبكى على قبر ، ولا أم تحب
 وليدها ، وإن أنوار السهاء قد خدت ، وقلب الإنسان قد مات ،

و يخلص العقاد من الموازنة بين هذين الرأيين و إلى أن الشعر لايفني إلا إذا فنيت بواعثه . . . قائلا :

ه إنى لا أرى فى ضروب الخطأ رأياً أخطل من زعم الزاعمين أن
 الشعر يحن إلى الماضى و يحجم عن المستقبل » .

وإذا كانت بواعث الشعر عند ناجى وأضرابه هى الحب، والحب وحده، فإن بواعثه عند العقاد واسعة المدى إلى حد يكاد يلمس اللانهاية، فكل أمر من أمور الحياة ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وكل وجه من وجوه بواعث الموت ، وما بعد الموت من آخرة ، هى مادة للشعر عند العقاد ، وهذا ما يعنيه المازنى حين يقول عن صاحبه :

« إنى اطلعت من شعر العقاد على نواح كانت محجوبة عن عيى ، وإنى وجدت فيه التعبير عما كنت أحسه ولا أكاد أدرك كنهه ، أو ما أدرك ولا أقوى على العبارة عنه ، وإنى زدت للحياة فهماً ، وبها شعوراً وعلماً ».

وبهذا الإلمام الواسع والبواعث الضخمة جنى العقاد على صاحبه المازني ، الذي أحس بقصور مجالات شعره أمام العقاد ، فهجر الشعر قائلا : « وانتهيت إلى أنه لاخير فيا قرضت من الشعر، وأن الأدب المصرى لا يزيد به ولاينقصه إذا فقده ، فكففت عن نظم الشعر ، ونفضت يدى من القريض » .

أما غيبياته ، وأبرز محاولاته فيها ملحمة و ترجمة شيطان ، . . . فهى تجرنا إلى الحديث عن مدى إيمان العقاد . وإنه لإيمان عميق ، موروث ومفهوم ومحسوس .

يتحدث العقاد عن الله في كتابه « أنا » فيقول إن الله موجود ، وإنالفلسفة تؤكدهذا الوجود إذ تعلمنا أن العدم معدوم ، فالموجود موجود ، موجود بلا أول ولا آخر لأنك لاتستطيع أن تقول : «كان العدم قبله ، أو يكون العدم بعده » ، وموجود بلا نقض يعترى الوجود من جانب عدم ، ولا عدم هناك ... موجود بلا بداية ولا نهاية ولانقص ، لأن الكامل الأمثل هو الله ، ونحن الفانين لن نرى إلا جانباً واحداً من الصورة الخائدة في فترة واحدة من الزمان » .

ويطول بنا الحديث عن شعر العقاد فلا ننهى فى مثل هذا القدر المحدود من الصفحات ، فلا بد لنا من أن نصطنع وقفة أخيرة نلملم بها أطراف الحديث ، فنقول إن العقاد كان صحفيًّا وناقداً ومؤرخاً وفيلسوفاً وقصاصاً وناظم أغنية . . . ولكنه كان يعتد ، أكثر ما يعتد ، بكونه شاعراً ، وأن أرفع مناصب حياته أنه كان مقرراً للجنة الشعر .

وفى هذا المنصب ، خاض أكبر معارك حياته الأدبية - وهى كثيرة - مع دعاة الشعر الجديد ، المتحرر من الوزن والقافية ، ومن التجيى على العقاد أن يقال إن وقفته هذه من الشعر الجديد ، هى وقفة رجعية ، فالتاريخ يشهد أنه السياسي الوحيد في عهد الملكية ، الذي وقف على منبر البرلمان يطالب برأس الملك ، وقد دفع عمن هذه الصيحة تسعة أشهر في السجن .

والتاريخ يشهد أنه كان سند حزب 1 الوفد » حيمًا كان الوفد عثل الأمة .

والتاريخ يشهد أنه كان من أوائل الثائرين على الوقد حيمًا انحرف الوقد. والتاريخ يشهد أنه عاش ما عاش في مجال الخزبية بلا مغنم ، وأنه ذاق شظف العيش دون أن يمديده، وأنه عاش عيشة النساك المتقشفين إلى أن مات ولم يترك من عرض الدنيا إلا كتبه . . . .

لم يكن عداؤه للشعر الجديد إذن عن رجعية ولا عن جمود ، فهو صاحب المدرسة العقلية فى الشعر والنقد والفلسفة ، التى لاتعترف بالجمود .

وهو صاحب أول دعوة للتجديد فى الشعر المعاصر، مع صاحبيه عبد الرحمن شكرى وإبراهيم المازنى. وكان تجديدهم تطويواً للشكل والمضمون معاً . أما تجديد المضمون، فلاينكره ألد خصوم العقاد.

وأما تجديد الشكل ، فإليك صورة عذبة منه، قصيدة 1 بعد عام a منها :

كاد يمضى العام يا حلو التننى أو تولى ما اقتربنا منك إلا بالتمسنى ليس الا مد عرفنا كل حسن وعذاب

لهب فى القلب ، فردوس لعينى فى اقترابى غير أنا لا نــرى الفـــردوس إلا رسم راسم وشربنا من جحيم الحسب مهلا شرب هائم

وصورة أخرى للتجديد فى الشكل، نجدها فيها أسلفنا من نماذج. ولكن العقاد كان يرى ــ ورأيه الحق فيها نرى ــ أن التجديد يجب أن يكون مقيداً بقيود الفن ، لأن الفن فى ذاته قيد ، وكان يضرب الأمثال فى ذلك بقوله إن المشى أسهل من الرقص، ولكن الرقص دون المشى هو الفن ، وإن الكلام أسهل من الغناء ، واكن الغناء دون الكلام هو الفن ، فلا فن بغير قيد ، ومن القيد يستمد الإحساس بالجمال .

و بعد : فأخشى مأأخشاه ، أيها القارئ ، أن تزعم أنى أنصفته ، لأننى من مدرسة من مدرسة النقيضة ، وهى مدرسة شوقى ، ولا أزال عليها ، ولا أفتأ أقول – على غير رأى العقاد – إن شوقى هو سيد القدامى والمحدثين بموسيقاه الفنية ، وأنا ممن يرون أن الموسيقى هى المادة الأولى في ملاط الشعر .



## الشاع الظت بيف

كامل الشناوي

كان كامل الشناوى بسمة على ثغر الحياة . . . لا تكاد تذكر يوماً من أيامه ، أو ليلة من لياليه ، إلا قفزت إلى شفتيك ابتسامة لنكتة قالها ، أو بيت طريف رواه ، أو « مقلب » هيأه لبعض أصحابه . وكأن الله حيبًا خلق الهموم على الأرض ، شاء - من لطفه بعباده - أن يخلق قوماً موكلين بإزالها ، ومن طلائعهم كامل الشناوى .

وله فى التفكه وقائع طويلة مع شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب ، رحمة الله علمه .

عاش الديب أكثر حياته - إن لم أقل كلها - جائعاً ، نصف عار ، بلا مأوى ولا دخل .

وكان كامل الشناوى فى مطلع حياته الأدبية سنة ١٩٣٢ ، يقيم فى بيت ذويه بأحد منعطفات شارع السد ، بحى السيدة زينب ، وهو بيت قديم ، مؤلف من ثلاثة طوابق ، كان كامل وحده يحتل الدور الأول منه . وكان على رقة حاله فى ذلك العهد ، كريماً مضيافاً . فكان يؤوى الديب عنده أياماً طويلة ، ويقتسم طعامه معه. ولكنه كان لا يفتاً يتندر على الديب ويتفكه به طول مقامه عنده. وكان الديب على سعة صدره وخفة ظله وشدة حاجته ، يضيق أحياناً بفكاهات كامل ، فيثور ، ويترك البيت ، ويحتمل الجوع والعراء أياماً ، إلى أن يخرج على الديد به إلى البيت ، من تندره عليه ، أنه كان يخرج

من جيبه عشرة قروش ، ويقربها من الديب ، ويقول للديب مشيراً إلى ورقة العملة :

-حضرتها ... عشرة صاغ!

ئم يلتفت للورقة ، مشيراً إلى الديب ، ويقول لحا :

ـ وحضرته الشاعر الكبير عبد الحميدالديب .

أىأن أحداً منهما لم يروجه الآخر أبداً . ثم يفعل مثل ذلك بقطعة من الصابون ، فيقدمها إلى الديب ، ويقدم الديب إليها ، يعنى أن الديب لم ير الصابون ولم يستحم في حياته .

. . .

من الظواهر المشهورة فى الأدب المصرى بالذات ، أن الشاعر أو الأديب الذى يضحك كثيرًا فى حياته ، يبكى كثيرًا حياً يخلو إلى نفسه ، ويمسك بالقلم .

هكذا كان شأعر النيل حافظ إبراهيم . كان من أظرف ظرفاء عصره ، وكانت له نكات مشهورة . ومع هذا ، فإنه عندما ترجم . . . . ترجم البؤساء » . . . الكتاب الحزين لفيكتور هوجو . وعندمانثر . . كتب لا ليالى سطيح » بحروف كأنها دموع وعندما نظم ، لم ينظم إلا الشجى والعذاب . وهكذا كان الشيخ عبد العزيز البشرى . وهكذا يفعل رامى . . . . فهو إذا حدثك ، فهو من ظرفاء عصره . ولكنه إذا نظم ، فأغنياته جمرات من اللوعة والحرمان .

وهكذا أيضاً كان كامل الشناوي ، الذي طالما ملأ الليالي بهجة

وإيناساً . . . . كان إذا خلا إلى أعماق نفسه . . . سخط على كل شيء . . . بادثاً بيوم مولده ، فهو القائل في عيد ميلاده :

عدت یا یسوم مولدی عدت یا أیها الشقی الصبا ضاع من یادی وغیزا الشیب مفسرقی لیت یا یسوم ولدی کنت یسوماً بسلا غد ان تمسر بسلا شباب وحیساة بسلا ربسیع انستری الحب بالعداب اشتریه . . . فن یبیسم

. . .

فى ذلك البيت الذى حدثتكم عنه، بيت آل الشناوى بحىالسيدة زينب ، عرفنا الندوة الأدبية فى أول عهدنا بالشعر .

وكان كامل عهدئذ قد تمرد على الأزهر الذى ألحقه به أبوه على غير رغبة منه ، ومعجر الدراسة ، وتفرغ للثقافة العصامية يطابها فى دار الكتب .

وكنا نجتمع فى « مندرة » البيت كل ليلة ، نسمع من كامل ما أعجبه من محصول يومه فى دار الكتب. وفى الحق أنه كان ذواقة نادر المثال . وكان من خير الرواة ، ومن أعذب الأصوات فى تلاوة الشعر ، إلى حد أن أم كلثوم وعبد الوهاب كانا يطربان لإلقائه .

من أمثلة ماكان يلتقط من الشعر ويعيه فى تلك الأيام ، ونحن فى أول الصبا ، هذان البيتان الشاعر العباسى ، العباس بن الأحنف ، يقول لمحبوبه :

أستغفر الله، إلا من محبتكم فإنها حسناتى يـــوم ألقاه فإن زعمت بأن الحب معصية فالحب أجمل ما يعصى به الله

. . .

ولد كامل الشناوى سنة ١٩١٠، فى قرية «نوسا البحر»... وهى
قرية حالمة تنام على ذراع النيل، فى ظلال المنصورة الحسناء. وهذه
القرية التى شهدت طفولته، هى التى رعت صبا شاعر آخر، هو
المرحوم محمد الهمشرى، الذى قال فيها:

منك الجمال ومنى الحب يا نوسا فعللى القلب، إن القلبقد يئسا أما المنصورة فهى مدينة الحب والجمال ، ومهبط الشعر والحيال . . وفي رباها ، غردت ، أول ما غردت ، أم كلثوم . . . وفي لياليها شبت موهبة عبد الوهاب . . . وفي مقاهيها غنى محمد السنباطى ، ثم ولاده رياض السنباطى نفسه . . . وفي جزيرتها . . . ترنم على محمود طه ، شاعر الجندول ، وإبراهيم ناجى ، شاعر الأطلال .

فى شهر ديسمبر سنة ١٩١٠ ، ولد كامل الشناوى وكأنه ، من فرط سخطه على يوم مولده ، ذلك اليوم الشقى ، أبى أن يستقبله من جديد ، وآثر أن يودع الحياة قبل أن يقبل ديسمبر بيوم واحد ، إذ مات يوم ٣٠ نوفير سنة ١٩٦٥ .

وكأنما كان كامل الشناوى على موعد دائم مع شهر ديسمبر . . . فى ديسمبر السابق لوفاته ، ولد ديوانه الأول والأخير . . . و لاتكذف ، . وأنت حيثما تقرأ هذا الديوان ، لاتحس بأنك قارئ ديوان شعر ، قدر إحساسك بأنك تستمع إلى مجموعة من الأغنيات الحاوة . حروف المطبعة تكاد تذوب أمام عينيك ، لرتسم مكانها علامات موسيقية . وعناوين القصائد . تكاد تثقب الورق لتطل من هذه الثقوب أعناق أم كلثوم وهي تدق على باب مصر ، وعبد الوهاب وهو يترنم بالحطايا، وفريد الأطرش وهو ينشج بأنشودة « يوم مولدى » ونجاة الصغيرة وهي سمس لنفسها : لا تكذبي .

وفى هذا الديوان ثمان وعشرون قصيدة ، ما لم يلحنه الملحنون منها ، لحنه وقع الكلمة فى الأذن والقلب . وكامل الشناوى شاعر مقل ، ينظم الشعر منذ عهد أبولو ، أى منذ سنة ١٩٣٢ . ومع هذا ، فإن ديوانه هذا لاينتظم أكثر من ثلبًاثة وعشرين بيتاً ، هى كل ما نظمه فى المنتين وثلاثين سنة أى بمعدل عشرة أبيات كل سنة !

وأبرز ظاهرة فى شعر هذا الديوان ، أنه فى أكثره شعر حب ، ولكنه اون من الحب لاتشم منه وائحة الجسد ، ولاتلمس فيه أثر الجنس فى كيان الشاعر نفسه ، ولكنك تشم تلك الرائحة ، وتلمس هذا الأثو ، فى كمان حيباته ، وفى كمان الرجال الآخرين .

فكل حبيبات كامل الشناوى ـ فى مرآة شعره ـ خاثنات . وكأن قليه لايتعلق إلا الخاثنات : وهو مكتف من الموقف كله بالسخط والغضب والثورة والعذاب والحرمان .

سألته مرة : ما سر شقائك فى الحب ؟ فردد لى البيت القديم المأثور : وأما لللاح فيأبيسكي وأما القباح فآبي أنسا

ولنستعرض صور بعض خاثناته :

يقول كامل ، في قصيدة ( حبيبها ، :

حبيبها . . لست وحدك حبيبها . . أنسا قبلك وربمسا جئت بعسدك وربمسا كنت مثلك إلى أن يقول :

وعسانقتنی . . وألفت بسرأسها فوق كتنی تباعسدت وتسدانت كأ صبعسين بسكنی

وسرت وحدی شریدداً عسطم الخسطوات ----زق أنفسساس تخیسستنی الفساتی کهارب لیس یسدری من آین او آیسن یمضی شك ، ضباب ، حطام بعضی یمسزق بعضی

ما أنت يا قلب ، قل لى الت لعنــة حــبى؟ أأنت نقــــــة ربى ؟ إلى مـــــى أنت قلبى ؟

إنها صورة ممثلة . . .

وقد لاتكون ممثلة على مسرح ولا على شاشة. . وقد تكون ،

ولكنها على أية حال امرأة نجيد تمثيل دور الحب على من يحبوبها ، وهم كثر. على حد اعتراف الشاعر.

ثم هو في قصيدة « قلى » يقول :

كهف يا قاب ترتضي وتدارى جحدودهما في رواء من الدموع؟

لــــت قـــلبي ، وإنما خنجـــرأنت في الضلوع

ثم يصف هذه الغادرة ، وكيف هوت به خيانتها من القمة إلى

طعنة الغدر في الضلــوع

السفح ، قائلا لقلبه :

أوتسدري بما جسري ؟ أو تسدري ؟ دمي جري جلبتی مــن الذری ورمت بی إلی الــری وبرغم هذا الغدر وهذه الحيانة . . . وبرغم هذا السخط وهذه الثورة . . . فإنه يحبها لأنه يحب الحائنات . ويعترف بهذه الحقيقة في نهاية هذه القصيدة التي يُخاطب فيها قلبه:

كنت يسوماً أحبها دمـــرتني لأنـــــني وإلى الآن لــم يــزل نابضاً فيــك حبهــا إنما أنت قلبها لست قلمي أنسا إذن

وحول المحورين نفسيهما – محور الحيانة ومحور الرضا بالحيانة – تدور قصيدته 🛭 ظمأ وجوع 🗈 :

أحبيتها، وظننت أن لقلبها نبضاً كقلى لا تقيده الضاوع

نبض ، سرابخادع ، ظمأ وجوع طفلا يعاوده الحنين إلىالرجوع تبكى الخطامي وترتعد الضلوع

أحببتها فإذابها قاسب بلا فتركتها ، لكن قلبى لم يزل وإذامررت، وكممررت ببيتها

\* \* \*

قد يهمنا بعد ذلك أن نتقصى المدارس الأدبية التي أثرت في منهاج هذا الشاعر.

خمسة شعراء ، تركوا بصهامهم فى نفس كامل الشناوى ، أو فى شعره . هم الشريف الرضى ، وأبو العلاء المعرى ، وأبو نواس ، وإيليا أبو ماضى : وأمير الشعراء أحمد شوقى .

١ - الشريف الرضى : : بكبريائه . . كان الشريف لا يخشى
 أن يشمخ أمام الخليفة ويقول له في إباء :

عفواً أمير المؤمنين ، فإننا في دوحة العلياء لانتفرق ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً، كلانا في المفاخر معرق الا الحلافة ميزتك، فإنسني أناعاطل منها، وأنت مطوق

أحب كامل في الشريف هذه الكبرياء ، وأحب الكبرياء.

مرة ، روى لى أنه مفتون بمضيفة فى فندق هيلتون ، هى التى نظم فيها قصيدته التى عنوانها «فى الكافتريا » . . . ويقول فيها :

مرت بنا كالطيف تسألنا ماذا نريد، فلذت بالصمت ودنت لتسألي على حدة عما أريد، فقلها: أنت

قلبى ، وشدته إلى فمها ياليته ينساب فى دمها هل تعرفين ومن أكون أنا؟ قد جاء يستوحى الشباب هنا

غضبت ، وألقت نظرة نزعت ياليته يقدى يقبلها وأردت أرضيها ، فقلت لحا : أنا يا صبية شساعر هرم

أريد إلهامة جديده بقدر ما أنظم القصيده

فافتر ناظرها ومبسمها وقصيدتى ما زلت أحلمها وأظل طول العمر أنظمها

وذهبت معه إلى الكافتريا ، لأرى فاتنته وملهمته .

كانت شابة لطيفة ، خضراء العينين ، وليس فيها بعد هاتين العينين الخضراوين ، ما يستهوى شاعراً إلى حد الاستلهام ، إلا شيء من الاعتداد بالنفس .

ومکٹنا نحو ساعة ، ثم هممنا بالانصراف ، وترکنی کامل أؤدی حساب ما أخذفا، هامداً لی : « ستری » .

وأديت الحساب ، وتركت فى الصحن الإكرامية الواجبة لمثلها ، والتي نتركها عادة لكل زميلاتها ، فإذا وجهها يحمر خمجلا ، وإذا بها تدفع بما فى الصحن نحو يدى قائلة فى أدب وحزم : « متأسفة » وتولى مدبرة .

وقال لى كامل : أرأيت ؟ إنها الوحيدة هنا ، التي ترفض أية إكرامية . . كبرياء . . وأجمل مايفتنبي فيها ، هذه الكبرياء .

ولحبه للكبرياء ، يقول في قصيدة عنوانها و لست عبداً ، :

علام يا قلب تشكو نقض الحبيب عهدوده دع الهوان وحطم أغدلاله وقيدوده يا فتنى لست عبداً ولا أطيق العبدوده كدوني الحجم سعيراً فلن أكون وقدوده ويقول في قصيدة أخرى:

لست أشكو منك فالشكوى عذاب الأبرياء

وهى قيد ترسف العزة فيه والإبسساء أنا لا أشكو فنى الشكوى انحنساء وأنسا نبسض عدوقسى كبرياء

٢ ـــوالشاعر الثانى أبو العلاء المعرى بحيرته وتشاؤمه . . . وكل فلسفته .

فقد عانى كامل الشناوى شظفاً فى أول حياته ، ثم لانت له الحياة ، ولكنها لم تلن لبعض إخوته ، بل لعلها قست على اليتامى من أبناء بعض إخوته ، فأسى كامل لهم ، وأعالهم وكفالهم ، وبر بهم كل البر ، وأحس مأساتهم فلم يتزوج خشية أن يكرر المأساة ، آخذاً بقولى أبي العلاء :

هذا جسناه أبي عسلى ومسا جنيت عسلى أحد
أما حيرة أبي العلاء ، فنها حيرة كامل الشناوى في مثل قوله :
زعموا حبى يا قلب خطايا لم يطهرها من الإثم بكايا
والحطايا مالها من غافسر فترفق ، وتمهل في الحطايا
كما تأثر بأبي العلاء في تشاؤمه ، وإن كان يدفع عن نفسه تهمة
التشاؤم في مقدمة ديوانه قائلا : « إن المجانين وحدهم هم الذين لايضحكون
للحاة » .

وما أعرف أحداً ضحك للحياة في حياته قدر ما ضحك كامل ، وأضحك من حوله . ولكنه كان أشد الناس حزناً متى خلا إلى نفسه ليكتب شعراً أو نثراً .

من تشاؤمه ، قوله :

دمعتی ذاب جفنها بستی مالها شفاه صحوة الموت ما أرى أم أرى غفوة الحياه ؟

٣ ــوالشاعر الثالث أبو نواس . . . أثر في حياته ، بعيداً عن الشعر .
 فقد عاش كامل نواسيًّا يحب الليل وكل ما يحتضن الليل .

كلما بين الرجلين من خلاف ، أن النواسي كان حسيًّا ،مغرقاً في المعصية ، أما كامل ،فقد غلبت روحانيته على حسيته .

وكان كامل يعترف بأنه صديق لأى نواس ، وقد حفظ شعره

ودرس حياته دراسة نفسية مفصلة ، وأزمع أن يكتب له سيرة بأسلوب جديدفي روايةالسيرة، ونشر بعض فصول من هذا الكتاب في بعض الصحف.

٤ - ثم . . إيليا أبو ماضى ... داعية مذهب اللاأدرية في الشعر العربي ، وصاحب قصيدة « لست أدرى » المأثورة .

لقد أثرت لاأدرية أبى ماضى أيما تأثير فىتفكير كامل الشناوى الشعرى ، فهو يقول فى إحدى قصائده :

إلى أين نمضى أيها الدهر يعد ما نصير هباء ، لاضجيج ولا صمت وينسل منا الحب والخير والهوى وينسل منا الشر والغي والمقت ؟ للى أين يمضى شيبنا وشبابنا إلى أين يمضى الومض والبض والصوت ؟ وفي أى قبو منك خبأت من مضووا وأبعدت مثواهم فراحوا ولم يأتوا؟ وفي أى يوم نلتى بهمو ؟ أجرب فقد هدنا شوق وعلبنا كبت خسة أسئلة في هذه الأبيات القليلة . . . يتساءلها الناس منذ آدم ، ويظلون يتساءلونها حتى الإنسان الأخير . . . ولاجواب عنها أكثر ويظلون يتساءلونها حتى الإنسان الأخير . . . ولاجواب عنها أكثر إقناعاً من هاتين الكلمتين : لست أدرى .

ويوغل كامل فى التسآل عن هذه النيبيات ، فيقول فى قصيدة بسأل فيها من يكون «أنا»:

يارب فيم خلقتنا نهب الضباب . . . فلا ظلما الم ولاسنا ؟ وفد في الأرض لا ندرى بنا وقد الأرض لا تدرى بنا

أنا من أنا؟ أنا من أكون ؟

وسيلمة . . . أم غسايسة ؟

أنـــا لست أعـــرف من أنــــا !

٥ ــ وأخيراً . . . أمير الشعراء شوقى .

وكان كامل الشناوى يقول ، كما نقول نحن ، إنه أستاذنا الأول والأخير ، وإنه سيد الأولين والآخرين ، بموسيقاه السحرية ، ببيانه المشرق ، بخياله الحصب . . . بنتاجه الضخم . بمسرحياته الحالدة . . . بجده وعبثه . . . بإسلامياته وغرامياته . . . بمصريته وعروبته وإنسانيته . . . بمحافظته وتجديده .

مرة . . . هاجم أحد النقاد المحدثين من دعاة الشعر الجديد شوقى في يوم ذكراه ، وقال إنه لو عاش في زماننا هذا ماكان له شأن يذكر .
و يكيت يوم قرأت هذه الكلمة الخسيسة . وقال لى كامل الشناوى كلمة كفكفت دمعي . . . قال :

- لاعليك . . . إذا رأيت المنى ينقدون الأحياء .



عمد حافظ إبراهيم

إذا أردت ترجمة صادقة لحياة شاعر النيل: حافظ إبراهيم، فخير ترجمة لحياته قد كتبها المرحوم الدكتور أحمد أمين فى مقدمته لديوان حافظ الذى أصدرته دار الكتب المصرية.

أما الذي أقدمه لك هنا ، فأضواء على نواح من حياة حافظ لم يسجل أكثرها نقاد الأدب ومؤرخوه ، فبقى فى ذواكر المعاصرين والرواة.

. .

كان حافظ شاعر الثورة .

وأنا إذ أقول هذا ، إنما أعنى هذه الثورة التي نعاصرها بالذات ، ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ . برغم أنه مات قبلها بعشرين سنة .

فإن سألتني عن صلته بهذه الثورة ، قلت لك :

إن حافظاً . . . . الشاعر المصرى الشعبي ، ولد على ماء النيل لا على شطآنه . بعائمة فى بلدة ديروط ، بمحافظة أسيوط . . . نفس الإقليم الذى أنجب زعيم هذه الثورة ، جمال عبد الناصر .

ولم يعرف له تاريخ ميلاد ، وإن كانوا قد سننوه ، فقدروا أنه ولد في يوم ٤ فبراير سنة ١٨٧٢ .

أما تاريخ وفاته ، فهو يوم ٢١ يوليو سنة ١٩٣٢ . . . وهكذا ارتبط تاريخه بشهر يوليو ، وبيوم ٢١ يوليو بالذات ، وهو اليوم الذي التمر فيه الثائرون ليتأهبوا للوثبة الكبرى في تازيخ مصر

وقد لمعت مواهب حافظ الأدبية منذ احداثته ، ومارس المحاماة وهو دون العشرين بكثير ، وهي يومئذ مهنة لاتتطلب ثقافة خاصة . ثم حببت نزعته الوطنية الفروسية إليه ، فالتحق بالمدرسة الحربية ليحمل السيف يدود به عن حياض الوطن .

وسرعان ما أصبح الضابط الشاب ، عمد حافظ إبراهيم ، فى طليعة الضباط الأحرار ، وكان عددهم ثمانية عشر ضابطاً ، أرادوا أن يثبوا على الاستعمار الإنجليزى وأعوانه فى السودان ، فتزعموا ثورة السودان ، وأيدهم الحديو عباس فى السر دون الجهر ، فلما أخفقت الثورة خذهم الحديو وتحلى عنهم ، وأحيل حافظ إلى الاستيداع ، ثم إلى المعاش ، وهنا ذاق مرارة الجوع والحرمان .

ثم دعك من كل هذا ، وانظر كيف رسم حافظ في شعره الحطوط المعريضة نفسها التي آمنت بها ثورة يوليو سنة ١٩٥٧ ، قبل قيام هذه الثورة بنصف قرن من الزمان .

إنه يصرخ فى قومه ليفيقوا من غفوتهم ويؤمنوا بمصريتهم قبل إيماتهم بغيرها ، ويدعو إلى إلغاء الألقاب والرتب والعبث الذى لا يجديهم شيئاً :

أنا لولا أن لى من أمنى خاذلا ما بت أشكو النوبا أمة قد فت فى ساعدها بغضها الأهال وحبالغربا وتفدى بالنفوس الرتبا تعشق اللهو وتهسوى الطربا أم بها صرف الليالى لعبا

تعشق الألقاب في غير العلا وهي والأحسدات تسيدفها لاتبالي أعب ( القوم) بها والقوم هنا هم الإنجليز . . . .

ثم ها هو ذَا يحمل على الأخلاق السياسية المنحلة في عصره حملة شعواء ، ويصبح صيحة التطهير ، حين يتعرض لانحدار الصحافة وثوذ الساسة بالقصر ودار السفير البريطاني - فيقول :

كما قال فيها ١ أبو الطيب ١ ونحن من اللهــو في ملعب وصحف تطن طنين الذبيساب وأخرى تشن على الأقسرب وهذا يلوذ يقصر الأمسير ويدعو إلى ظلسه الأزحيه

اوكم فابمصرمن المضحكات، أمور تمر وعيش يمــــسر

وهذا يلوذ يقصر السفسير ويطنب في ورده الأعسذب ثم يمسك بعول الثورة لينقض به على الإقطاع انقضاضة متكررة في أكثر من قصيلة . على حين أنه لم يتعرض أحد من شعراء عصره لهذه الظاهرة التي كانت قوام الحياة في مصر يومثذ :

يقول في قصيادة ١ الامتيازات ١ :

وهلى في مصر مفخم والرتب سوى الأثقب اب والرتب وذى إرث يسكانسرفسا بمسال غمير مسكنسب وفی قصیادهٔ أخری ، بصف حریق میت عمر ، فیرسم صورهٔ آلاف من الجياع العواة يعد احتراق المنابية ، ثم يهب بأحد الإقطاعيين ... وهو المنشاوى باشا ... أن يتحرك ضميره لمأساة هؤلاء العفاة . وكان المنشاوى يحتفل يومئذ بعوس فى بيته تتحدث بأضوائه الركبان .

يقول حافظ :

أيها الرافلون في حلل السو شي ، يجرون للنيول افتخارا إن فوق العراء قوماً جياعساً يتولرون ذلسسة وانسكساوا قد شهدنا بالأمس في مصرعرساً أن ذاك الغناء يجرى نضساوا وسمعنا في هميت عمرى صياحاً ملاً البر ضجسة والبحساوا جل من قسم الحظوظ ، فهذا يتفي ، وذاك يبكى الدياوا

\* 4 \*

كانت مجالس الأدب فى الجليل اللـاهب لاتذكر اسم حافظ إلامقترنا بشوقى ، ولاتذكر اسم شوقى إلامقترنا بحافظ ، حتى كأمهما توامان .

وكان شوقى ــ فى أعماقه فى الأقل ... لايطرب لسماع اسم حافظ مقرّراً باسمه، فقد كان يحس أن الشوط بينهما بعيد . ولعله أسر بهذا لبعض خاصته ، فنقل القول إلى حافظ ، فساءه ، فصاح يقول :

... « بأه يا عالم . . . شرقي يقول كنه ، والناس بقى لها تلاتين سنة تقول شوقي وحافظ ، زى ما تقول سميط وجبنة ؟ ه

بدأ حافظ حياته الأدبية يقلد شاعر الجيل الأسبق ، رب السيف والقلم محمود سامى البارودى . وقد أمعن فى تقليده لأنه شاء أن يكون

خليفته ، ربًّا للسيف والقلم أيضاً .

ولعله تطلع إلى أن يبلغ ما بلغه البارودى ، وزيراً للحربية ، ثم رئيساً لاوزارة ، حين هجر المحاماة ودخل المدرسة الحربية .

ولكن حياة حافظ العسكرية بكرت بالأفول ، فجافاه هذا الأمل ، ولاسيا بعد أن شهد هزيمة العرابيين ولهاية البارودى الحزينة .

وكان بحم شوقى قد تألق. فراح حافظ يرسم لنفسه أمثولة جديدة غير أمثولة البارودى ، هى أمثولة شوقى، فسار على غراره، وقلده فى أغراضه ، حتى لقد حاول أن يقتحم عليه أجواءه .

كان شوقى شاعر القصر ، المقرب إلى رب القصر ، فتمنى حافظ لو أنه صرع شوقى فى حلبة القصر ، وانتزع منه هذا اللقب ، فراح يمتدح الحديق ، ويهنئه بالمواسم والأعياد، ويدعو له ولولى عهده عبد المنعم .

ولكن كل ذلك لم يبلغه أملا.

بيد أنه بدلا" من أن يستريح ، أو يتواضع فيا يأمل ، واح يحلم بأن يبلغ شأواً أعظم من شأو شوقى . واح يحلم بأن يصبح شاعر الحليفة فى الآستانة ، فتوجه إليه بالقصائد الطوال . لعله يصبح شاعر الباب العالى ، لاشاعر الوالى فحسب . . . ومن ثم تكون له السيادة على شوقى . غير أنه أخفق فى هذا الحلم أيضاً ، فارتد على حقبيه ، وتواضع كل التواضع ، وانطوى فى عيط ضيق ، يمدح الوزراء والسراة والاعيان .

وكان البؤس قد حطعليه بعد خروجه من الجيش، فقد خرج بمعاش

لا يزيد على أربعة جنيهات. فوصله شوقى وحدب عليه ، وسعى له عند داود بركات ليعينه محرراً بالأهرام ، فلم يفلح ، فخاطب القصر فى شأنه ، فجعل القصر له راتباً ظل يصرف له حتى نهاية حياته .

ومن هنا لان ناب حافظ مع القصر ، فامتدح فؤاداً كما امتدح حسيناً كما امتدح عباساً من قبل . ومن هنا أيضاً لان حافظ مع شوقى، فكان يعترف له بالإمارة جهراً ، وإن كان يحفظ عليه فى سره .

أما اعترافه لشوقى بالإمارة ، فشواهده كثيرة. منهاقوله في مدحة للخديو عباس :

لم يبق « أحمد » من قول أحداوله في مدح ذاتك فاعدر في ولا تعب وقد درج حافظ على هذه السياسة ، حتى لا تكاد مدحة واحدة من مدائحه الخديوية أو السلطانية أو الملكية تخلو من إشادة بشوق .

ولعله أراد بذلك أن يأمن غدر شوقى ويضمن رضاه ، فرضاه من رضا القصر . . . .

ولعله أراد أيضاً أن يؤكد للناس، أوللتاريخ،أن إمارة شوقى سندها الأول هذا القصر .

على أن له فى شوقى مدائح كثيرة ، بعيدة عن ذكر القصر ، أشهرها وأبهرها وقفته ليلة مبايعة شوقى بإمارة الشعر ، يلنى السلاح ويعترف الاعتراف الأخير :

أمير القوافي قد أتيت مبايعـــاً وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

هذا ما كان في الجهر . . . فاذا كان وراء الجهر ؟

إن كلا الرجلين كان يعرف قدر نفسه وقدر أخيه . ولكن الطموح أفسد نفس حافظ على صاحبه بعض الزمن . فلما غلبه اليأس ، داراه وماراه . ولذعه كثيراً فى غيبته بالشعر والنكتة فى بجالسه الحاصة ، وإن يكن استسلم له فى الجهر ، واعترف له بالإمارة .

أما شوقى . فلم يكن يخشى أن يقفر حافظ إلى مكانته يوماً ما ، ولكنه كان يخشى أسانه . فوصاه وأحسن إليه ، وهناك أيضاً حقيقة لفسية هامة ، هي أن شوقى كان ينفس على حافظ شيئاً واحداً . ذلك أن شوقى كان يعجز عن إلقاء قصائده ، فيعهد بهذه المهمة إلى غيره .

أما حافظ ، فقد كان صناجة ، وكان يلتى قصائده ، فيهز أعواد المنابر ويأخذ بمجامع القاوب . هذا ، إلى أن حافظاً كان يملاً المجالس بهجة، ويستأثر بأساع الحاضرين بنكتته اللاذعة وبديهته الحاضرة وحديثه الحاو ، على حين كان شوق خامل المجلس ، كأنه عبى اللسان!

وقبل أن أنهى من الحديث عن الشاعرين، أقول إن حافظاً قد حاول أن يحلق فى أجواء شوقى الواسعة، فكبا كثيراً ، وكانت أكبر كبواته مدائعه فى ملوك الإنجليز .

وحاول أن يحذو حذو صاحبه فى رثاء أعلام الغرب كتولسترفى وغيره ، وفى الإشادة بالأحداث العربية القديمة والعالمية الحديثة ، ولكنه لم يصل إلى شيء من سهاء شوق. فلما أن تحول إلى الأحداث المصرية الجليلة ، أبدع وأجاد ، وصح أن يقترن اسمه باسم أمير الشعراء . وأحب هنا أن أسجل رأياً لأستاذ الجيل أحمد لطني السيد فى

شوقى وحافظ ، أورده عميد الأدب طه حسين فى بعض كتبه .

قال العميد : لا كنت مرة عائداً مع الأستاذ أحمد لطني السيد بعد أن حضرنا اجهاعاً لتخليد ذكرى حافظ . قبل أن يموت شوق . وكنا نتحدث في أمر الشاعرين ، فقال لطني بك : لقد خدعي حافظ عن نفسه كما حدعي شوق عنها . كنت ألتي حافظاً في أول عهده بالشعر ، وكان يسمعني كثيراً من شعره فلا يعجبني . فقلت له ذات يوم رأرح نفسك من هذا العناء، فلم يحلقك الله لتكون شاعراً ) ولكنه لم يقبل نصحي ، وحسناً فعل . فا زال يجد ويكدح حتى أرغم الشعر على أن يذعن له ، وأصبح شاعراً . وكنت شديد الإعجاب بشعر شوقي ، أقرؤه في لذة تكاد تشبه الفتنة ، وأثنى عليه كلما لقيته . فا زال شوقي يكسل ويقصر في تعهد شعره ، حتى ساء ظبي بشعره الأخير ه .

هذا هو رأى لطنى السيد ، الذى رواه طه حسين وأقره عليه . ولاشك أنه رأى متعسف ؛ فعندى وعند غيرى من المنصفين أن الشعر العربى لم يشهد أروع من مسرحيات شوقى الشعرية التى نظمها فى أخريات سنى حياته .

G 0 #

وقبل أن اختتم هذه السيرة ، أحب أن أسوق بعض نقاط تلتى أضواء بارزة على حياة صاحبها .

كان حافظ « مقطوعاً من شجرة » كما تقول العامة . مات أبوه
 وأمه ، فكفله خاله ، ثم ضاق بمقامه وطعامه ، فخرج حافظ من البيت

وقد ترك لحاله هذين البيتين : •

أقلت عليك متونسي إنى أراها واهيمه فافرح فإنى ذاهسب متوجه فى داهيسه

ولم يعرف له أحد فى أواخر أيامه أحداً من الأهل غير زوجة خاله ، التى كانت تقيم معه فى بيته بحلوان، تطهو له وترعاه ، وكان أصحابه الذين يسمرون معه كل ليلة ، محمد البابلى ، ومحمد المويلحى ، وعبد العزيز البشرى وغيرهم من ظرفاء العصر ، يشهدون لحا ببراعة الطهو ، إلى أن مات وخلفته وحيداً فى الحياة .

والذى يقرأ خريات حافظ ، يعتقد أنه كان سكيرًا مدمنا وشواهد شعره في هذا كثيرة أشهرها قوله :

أسقنا يا غلام حتى ترانا لانطيق المكلام إلا بهمس عمر وهما من خدود الملاح في يوم عرس وقوله في رسالة بعث بها إلى بعض أصحابه إذ هو ضابط بالسودان: فتية الصهباء خير الشاربين جددوا بالله عهد الغائبين واذكروني عند كاسات الطلا إنني كنت إمام المدمنين

والحقيقة، كما أكدها لى صديقه وصفيه المرحوم فؤاد شيرين باشا، أن حافظاً كان مقلاً كل الإقلال فى الشراب، وكان إذا شرب كأساً حاول أن يخلص من أثرها بسرعة. أما خرياته فلعلها أثر منآثار تقليده لكبار الشعراء ، وفى طليعتهم شوقى .

كان حافظ أكثر الناس مرحاً، وكان هذا المرح يضى على عجالسه شعشعة باهرة ، حتى لقد قال العقاد حين وقف على قبر حافظ يرثيه :

أبكاء وحافظ فى مــكان؟ تلك إحدى عجائب الحدثان ومع هذا فشعر حافظ ونثره نسيج من الأحزان والهموم ، حى لقد كان يقول دائماً : « لايطيب لى نظم الشعر إلا إذا كنت محزوفاً » .

- تزوج حافظ مرة ، ولم يدم زواجه إلا بضعة أشهر، ثم لم يكرر غلطته قط . أما شائعة تشبيبه بالغلمان فقد كان مصدرها حبه للتندر ، دون أن يكون لها أثر فى حياته مطلقاً ، كما يؤكد صديقاه فؤاد شير بن وأحمد راى .
- كان كل من حافظ ومطران يباهى صاحبه بأنه أجمل منه ،
   مع قلة حظهما معا من الجمال ، وقد اختلفا فى ذلك يوما ، فاتفقا على
   أن يوقع كل منهما عريضة من أعيان القاهرة تشهد بأنه أجمل من صاحبه .

وذهب مطران إلى السيد عبد الحميد البنان ليوقع له عريضته ، فرفض ، فما زال يلح به حتى أقر له بما يريد، وكتب له فى النهاية و المقر بما فيه رغم أنفه » وهذه إشارة إلى أنف مطران ، وهى كما يعلم الناس شوهاء .



لحافظ – عدا ديوانه – ترجمة كاملة لمسرحية شكسيير
 ه ما كبث ، نشر جزء منها فى ديوانه . أما الباقى فقد ضاعت معالمه ،
 وكانت ترجمة بختلط فيها الشعر بالنثر . وقد أعانه على الترجمة من الإنجليزية صاحبه فؤاد شيرين .

وله إلى جانب ذلك ترجمة رواية ( البؤساء ، في جزأين، صدر ثانيهما بعد الأول بعشرين سنة . وقيل إن الأستاذ الإمام محمد عبده كان يساعده في ترجمة هذا الكتاب ، لضعف فرنسية حافظ .

ثم إن له كتاب « ليالى سطيح » . وكتاباً آخر في الاقتصاد السياسي ، اشترك في ترجمته مع خليل مطران .

كان حافظ على فقره متلافاً إذا جاءه المال ، إلى حد أنه تسلم
يوماً ألفين من الجنبهات من وزارة المعارف حينها قررت تدريس ترجمته
للبؤساء في المدارس. وقد أنفق المبلغ برمته في شهر واحد.

على الرغم مما كان بين شوقى وحافظ ، شاء الموت أن يضمهما فى عام واحد ، هو عام ١٩٣٢ . وقد سبق حافظ صاحبه إلى طريق الله ، فنظم فيه شوقى مرثبته الرائعة ، التي مطلعها :

قد كُنت أوثر أن تقول رثائى يا منصف الموتى من الأحياء!



## شاع الحف إة الريفيتير

م.ع. الهمشري

ما عرفت شاعراً يحب الحياة ويفرّ من الموت كهذا الشاعر ، رحمه الله . . .

كان يحب الحياة وينهبها نهبا .. وقد يضلك من أمره أنك لا تجد فى شعره أثراً لضحكة أو ابتسامة . بل لعلك واجد كل ما هو عكس ذلك ، من تجهم وتشاؤم ، وحديث عن الموت ، ونبوءات بدنو أجله . وحسبك من ذلك أن تقرأ ملحمته « شاطئ الأعراف » ، لتجده يتمثل كلمات « الموت » و « المنايا » و « المنون » وكل ما يؤدى هذا المعنى أكثر من مائة مرة في قصدة واحدة !

ثم تقرأ بقية شعره ، فلا تجد له قصيدة واحدة خلت من ذكر الموت ، وهو القائل :

غداً یا خیالی تنتهی ضحکاتنا و الامنا تغنی ، وتفی المشاعر وتسلمنا أیدی الحیاة إلى البلی و یمکم فینا الموت ، والموت قادر

ولد الهمشرى ميلاداً شاعريًا، على شاطئ رأس البر ، سنة ١٩١٠. ومات ميتة خاطفة وهو فى عمر الزهور ، سنة ١٩٣٨. وبرغم أنه لم يعش أكثر من ٢٨ سنة ، فقد خلف وراءه تراثاً شعريبًا ، قوامه أكثر من ألف ست ، بعد ذخيرة من أجمل ذخائر الشعر المعاصر . كان اسمه الكامل: محمد عبد المعطى الحمشرى. غير أنه كان يؤثر أن يوقع تحت قصائده على هذه الصورة: دم .ع. الحمشرى يؤثر أن يوقع تحت قصائده على هذه الصورة: دم .ع. الحمشرى أسوة بما كان يفعله شاعره الأثير فى الأدب الإنجليزى ب.ب.شلى . ولو كانت الأمور تجرى مجراها الطبيعى فى حياة الناس ، لكان الممشرى شاعراً أعجمياً ، ولعاش على الشاطىء الآخر من البحر المتوسط ، ليضيف التراث الذى خلفه وراءه ، لا إلى الأدب العربى ، بل إلى أدب تلك الدولة الصغيرة ، ألبانيا ، التى ولد فيها جده ، أحمد الحمشرى ، قبل أن ينزح إلى مصر .

ولكن هذا الجحد ، لظروف لا نلم بها ، هاجر إلى مصر ، وطاب مقامه فيها ، ورزق فيمن رزق من البنين ، عثمان الهمشرى والد الشاعر .

تزوج عنمان الهمشرى سيدة تركية ، رزق منها ابنة واحدة ، ثم لم تطب حياته معها . ولعل سر هذا أنها لم تنجب له ولداً . فاهتدى إلى الزوجة الثانية . وتخيرها هذه المرة من أسرة مصرية من المنصورة ، اشتهر أفرادها . المتعلم منهم والأمى على السواء ، بالذكاء والألمعية .

كانت هذه الزوجة الثانية ، هى السيدة عائشة ، شقيقة الكاتب الكبير الأستاذ محمد التابعي ، صاحب الأسلوب الفرد فى النقد والسخرية ، ومنشئ المدرسة الأثيرة فى عالم الصحافة .

وأثمرت هذه الزيجة خمسة أولاد وبنتآ ، كان أولهم شاعرنا م . ع . الهمشرى .

نشأ شاعرنا في المنصورة . . .

والمنصورة أرض طيبة ، تنبت الشعر والجمال ، وتلهب الحب والحيال ، ويشهر رجالها بالظرف والذكاء ، والإغراق فى حب الأدب والفن ، كما تشهر نساؤها بالجمال والخفة والشاعرية .

وكانت سماء المنصورة يومئذ تجلجل بالشعر . كان فيها على محمود طه المهندس ، صاحب أنشودة الجندول ، وكان فيها أيضاً الدكتور إبراهم ناجى ، شاعر اللهفة العاطفية .

في هذا الجحو الحالم ، نشأ الهمشرى ، وبدأ يغرد ويردد أغانى الحب .

وكانت بين حسان المدينة يومئذ شابة حلوة ، أصلها من قرية قريبة من المنصورة ، تتكئّ على ذراع النيل ، اسمها « نوسا البحر » . . . التى ولد بها كامل الشناوى كما روينا من قبل .

كان اسم الصبية المدللة « توحة » . . وكان يحلو لها أن تخرج ساغة العصر من كل يوم، فتسير في شوارع المنصورة ، وقد لفت جسدها الغض بملاءة حريرية سوداء هفهافة كبنات البلد – مع أنها لم تكن منهن – وتتبخر في مشيها بخرة تذيب قلوب الشباب ، ولا تضن على أحد منهم بنظرة عابثة ، أو ابتسامة مغرية ، ترسلها من خلف نقابها الشفاف .

ويقولون إنها كانت بطلة الكثير من القصص فى المدينة . ولكننا انا والهمشرى - كنا لانزال تلميذين صغيرين فى المدرسة ، دونها سناً ، وهي فى أجمل أيام الشباب ، فى نحو العشرين . فلم يكن لنا أن نظفر منها بواحدة من هذه القصص الى ينسبونها إليها ، إن صدقاً وإن كذباً . ولكننا كنا نكتفى منها بالنظرة العابثة والابتسامة المغرية دون أن نظمع فى أكثر من هاتين ، لنتخذ منهما وحياً لشيء ننظمه .

وذات یوم ، نظم الهمشری قصیدة عاطفیة من أرق شعره ، وجعل عنوانها « إلی نوسا » وهو اسم قریة « توحة » قال فیها :

منك الجمال ومنى الحب يانوسا فعلى القلب ، إن القلب قد يئسا يا حبذا نسمة من توحة خطرت أطالت النفس من أسبابها النفسا

ولم يدر بخيالنا ، وبحن نقرأ القصيدة ، ونرى ما فيها من حديث عن الحب اليائس ، والقلب الذى تحول إلى برق ، أكثر من أن الهمشرى شاعر ، وللشاعر أن يحلم ما شاءت له أحلامه ، والشاعر أن يتصور فى الخيال مالا يبلغه فى الواقع ، والشاعر أن يعذب نفسه ما يعذبها من أجل محبوب لا يحس وجوده ولا عذابه .

ذلك هو الأمر كما كان فى أوهامنا . ولكنه كان أجل من ذلك فى حقيقته الى لم يحدثنا عنها قط ، إلى أن مات ، فأسر إلينا بها ذووه .

وما كان لى أن أذيع بعض نبأ هذه الحقيقة ، لولا أنى مضطر إلى إزاحة بعض الآثار عنها بالقدر الذى تتطلبه أمانة التاريخ الأدبى ، - والذي يكفل إلقاء الضوء على مصدر أكبر عمل في حياته الأدبية . وهي ملحمة «شاطئ الأعراف».

فالحقيقة أن « توحة » لم تكن هى بطلة قصيدة « نوسا » . وإنما أقحم اسمها إقحاماً على القصيدة لكى يستطيع من كل قلبه أن يتحدث عن نوسا « بغير كثير من الحرج » .

كان له في « نوسا » أمل .

ذلك أن زوج خالته كان عمدة « نوسا » وكانت هذه هي الصلة التي ربطته بنوسا منذ طفولته .

وكانت بين أترابه طفلة صغيرة فى مثل سنه، أو أقل قليلا ، هى ابنة بيت من البيوتات الكريمة فى نوسا .

كانا يلعبان معاً فيمن يلعب من أبناء القرية وبناتها إذ هم صغار يطيرون في الحقول كالفراشات ، يتعقبون الفراشات، ويسرحون ويمرحون في براءة الطفولة .

ثم كبر الزمن ، وكبر الهمشرى وكبرت هى معه . حتى بلغا اليفاعة ، فوجب عليها — وهى ابنة الأسرة المحافظة ... أن تحتجب فى خدرها . ولم يكن الهمشرى يدرى ، إذ هو يكبر مع الزمن ، أن عاطفته نحوها تكبر معه . فكان يكثر من التردد على القرية الهادثة ، يتنسم أخبار صغيرته ، الى كبرت ، ويسعده أن يلمح طرفها من نافذة بعيدة ، ويعود يملأ الدنيا بجبها شعراً وغناء .

هذه ــ لا توحة ــ هي الملهمة الحقيقية لقصيدة ٥ نوسا ٥ .

وما اسم « توحة » فى القصيدة إلا تمويه ، حرصاً منه على قداسة الحب الوحيد الذى عاش فى قلبه إلى أن سكت هذا القلب .

وكانت قصيدة 1 نوسا 2 هي آخر ما نظمه الحمشري في حياته من الشعر العاطفي بعد أن عاد إلى نوسا ذات يوم : فعلم أنه فقد حبه إلى الأبد ، إذ زفت حبيبته إلى غيره : وكان يتمناها لنفسه ، فانقطع الأمل!

انهى الشاعر العاطق . . .

وهجر الهمشرى كلية الآداب ، والتحق بوظيفة بالتعاون . . وكان التعاون يومنة تابعاً لوزارة الزراعة .

كانت وظيفته تحرير مجلة ، التعاون ، وقسد عرف الحمشرى مكانه من الحركة التعاونية منذ البداية ، إذ قرأ سيرة الشاعر الأيولندى الكيير د جورج واسلى ، الذى وعب حياته وشعره ونثره للكفاح ضد الاستعمار البريطانى ، وضد الرجعية والإقطاع ، وحمل رسالة الدعوة التعاونية والحضارة الريفية ، على صفحات عجلته ، المدوار الأيولندى ، التي كانت مجرد مجلة ريفية، فجعل منها رئسل مجلة عالمية ، تحمل رسالة الحضارة الريفية إلى جميع أنحاء أوريا وأمريكا !

وتتلخص رسالة الحضارة الريفية فى اللمعوة إلى بث النزعة الليتقراطية فى أهل الريف عن طريق التعاون والقضاء على الجوع والققر والجهل بينهم، وفقل مزايا الحضارة -- دون سوءاتها -- من المدينة إلى القرية بإنشاء المدارس والمسارح والأندية وقاعات المحاضرات والمستشفيات، وتعبيد الطرق وتعميم الإضاءة الكهر باثية ومياه الشرب النقية وبهذيب الشواطىء، وتجميل الحياة، والإهابة بأعيان الريف وكان يسميهم والهاربون من الميدان العودة الريف، ليعملوا على ترغيد الحياة فيه.

آمن الهمشري بهذه الدعوة، فحمل رسالتها على صفحات مجلة التعاون.

وعلى الرغم من أنها كانت مجلة حكومية ، تابعة للدولة الملكية الحزبية الرجعية فى ذلك الوقت ، فإنه حمل على هذه العناصر حملة شعواء فى شجاعة بالغة .

جند الهمشرى سلاحيه ، المقالة والقصيدة ، لتحقيق هذه الدعوة . جعل المقالة للدعوة الإيجابية ، تحقيق الحضارة الريفية ، وجعل القصيدة للدعوة السلبية ، وهي الإشادة بجمال الريف ، والتغني بمزاياه .

وبعد أن كان شاعر العاطفة، كما أسلفنا القول، أرست النهاية الياثسة لقصة حبد في و نوسا، نهايته كشاعر عاطني، وأعلنت ميلاد أعظم شاعر ريني في تاريخ الأدب المعاصر ، يتغنى بالربيع فيها، ولياليها المقمرة ، وأشجار النارنج التي تملأ أجواءها بالعطر ، ونخيلها المتطلع إلى السهاء ، وإشراق الشمس وطلوع القمر ، وأحلام الفجر ومسارح الشفق ، كما لم يغن شاعر آخر من قبل ، ويقتحم أخيلة وألفاظاً ومسميات جريثة لم يقتحمها

شاعر من قبل ، في مثل هذه الأنشودة الريفية ، التي يصور بها غناء الفلاح لجاموسته :

> تنقلى تنقــــــلى من جدول لحـــــدول جاموستى ياساحره جوبى الحقول الناضره تنقلى . . . تنقلى

> يشدو لك العصف و ويهمس الغد ير تنقلي

خطوتك الحسناء يمشى بها الرجاء تنقلي

تنقــــلى فى الــــريف وبالمروج طـــوفى تنقلى . . . تنقل

جوبى مع الصباح يا منيـة الفلاح يـا ظبيـة البطـاح تنقل . . تنقـلى من جدول لجدول

وفى لطى الحـــريف فى حوشك الوريف وفى ظلال اللـــوف بجـــانب الشادوف نامى هناك نامى \$c 26 44

لقد رحل الهمشرى قبل انبثاق فجر الثورة بأربعة عشر عاماً . ومع هذا . . . فإنه كان على رأس شعراء الثورة . رحمه الله ، وأنزله جنة الشعراء والملهمين



## محتويات الكتاب

te		
الصفحة		
٥	: [براهيم ناجي	شاعر الرقة العاطفية
71	: أبو القاسم الشابي	شاعر الجبل الأخضر
71	: أحمد رامي	شاعر الشباب
77	: أحمد زكى أبو شادى	شاعر مملكة النحل
٤٧	: أحمد شوق	أمير الشعراء
٧٣	: أحمد فتحى	شاعر الكرنك
Χ۵	: إلياس فرحات	المتنبى الجديد
14	: بشارة الخورى	الأخطل الصغير
1.0	: خليل مطران	شاعر الأقطار العربية
115	: رشید سلیم الحوری	الشاعر القروى
144	: صالح شرنو بي	شاعر البحر الأبيض
144	: عباس محمود العقاد	الشاعر العملاق
fel	: كامل الشناوي	الشاعر الظريف
eFf	: محمد حافظ إبراهيم	شاعو النيل
171	: م.ع. الهمشري	شاعر الحضارة الريفية

